



جامعة مؤتة  
كلية الدراسات العليا

العمران في القرآن الكريم  
(دراسة تحليلية)

إعداد الطالب  
ماهر محمد العوفي

بإشراف الأستاذ الدكتور  
محمد الزغول

رسالة مقدمة إلى كلية الدراسات العليا  
استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير  
في كلية الشريعة/ قسم أصول الدين

جامعة مؤتة، 2015

العمران في القرآن الكريم (دراسة تحليلية)

ماهر محمد العوفي

2015

الآراء الواردة في الرسالة الجامعية  
لا تعبر بالضرورة عن وجهة نظر جامعة مؤتة



MUTAH UNIVERSITY  
Deanship of Graduate Studies

جامعة مؤتة  
عمادة الدراسات العليا

نموذج رقم (١٤)

## قرار إجازة رسالة جامعية

تقرر إجازة الرسالة المقدمة من الطالب ماهر محمد العوفي الموسومة بـ:

العمران في القرآن الكريم  
استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في أصول الدين.  
القسم: أصول الدين.

التوقيع	التاريخ	
	٢٠١٤/٨/١٤	أ.د. محمد علي الزغول مشرفاً ورئيساً
	٢٠١٤/٨/١٤	أ.د. امين محمد البطوش عضواً
	٢٠١٤/٨/١٤	د. طالب محمد الصرايره عضواً
	٢٠١٤/٨/١٤	د. عماد عبدالكريم الخصاونه عضواً

عميد الدراسات العليا

د. علي الضمور



MUTAH-KARAK-JORDAN  
Postal Code: 61710  
TEL :03/2372380-99  
Ext. 5328-5330  
FAX:03/ 2375694  
e-mail:

dgs@mutah.edu.jo sedgs@mutah.edu.jo

<http://www.mutah.edu.jo/gradest/derasat.htm>

مؤتة - الكرك - الاردن  
الرمز البريدي: ٦١٧١٠  
تلفون: ٠٣/٢٣٧٢٣٨٠-٩٩  
فرعي 5328-5330  
فاكس ٠٣/٢ 375694  
البريد الالكتروني  
الصفحة الالكترونية

## الإهداء

أهدي هذا العمل إلى  
والديّ العزيزين أمد الله في عمرهما...

وإلى

زوجتي رقيقة عمري ...

وإلى

أخي وأخواتي نجوم تضيء في سمائي ...

وإلى

أصدقائي رفاق دربي وعطر أيامي ...

وإلى

المملكة الأردنية الهاشمية وجامعة مؤتة خاصة وأساتذتها ممثلة بكلية الشريعة

ماهر العوفي

## الشكر والتقدير

الشكر لله بداية على أن أنعم عليّ بإتمام هذه الرسالة بمنه وتوفيقه، وأشكره على  
نعمة الإسلام والأمن والإيمان.

أتقدم بالشكر والتقدير إلى مشرفي الذي أنار لي طريقاً لم أسلكه من قبل وسهل  
لي كل عقبات البحث، وأحسن توجيهات لم أترك شيئاً منها، الأستاذ الدكتور محمد  
الزغول بارك الله فيه.

كما وأتقدم من أعضاء لجنة المناقشة بجزيل الشكر والتقدير على تفضلهم بقبول  
مناقشة هذه الرسالة مع وافر الاحترام، كما سيكون لتوجيهاتهم كبير الأثر.

كما وأتقدم من جميع من ساعدني وأرشدني ووجهني بعظيم الشكر والامتنان.

ماهر العوفي

## فهرس المحتويات

الصفحة	المحتوى
أ	الإهداء
ب	الشكر والتقدير
ج	فهرس المحتويات
ي	الملخص باللغة العربية
ز	الملخص باللغة الانجليزية
1	المقدمة
5	الفصل الأول: مفهوم العمران في ضوء القرآن الكريم
5	1.1 العمران لغة واصطلاحاً
5	1.1.1 العمران لغة
7	2.1.1 العمران اصطلاحاً
8	3.1.1 مفهوم العمران عند المفسرين، وألفاظ ذات صلة بالعمران
9	2.1 أهمية العمران في ضوء القرآن الكريم
9	1.2.1 العمارة سبيل لتحقيق الاستخلاف في الأرض
12	2.2.1 العمران لتحقيق العزة
13	3.2.1 عمران الأرض وعلاقته بالتبئل
16	3.1 آيات العمران في القرآن الكريم
22	4.1 الفرق بين العمران والبنيان من خلال القرآن الكريم
22	1.4.1 معنى البنيان لغة واصطلاحاً
23	2.4.1 آيات البناء في القرآن الكريم
25	3.4.1 الفرق بين العمران والبنيان
27	الفصل الثاني: مجالات العمران في القرآن الكريم
27	1.2 العمران المادي
27	1.1.2 مفهوم العمران المادي
28	2.1.2 بناء إبراهيم عليه السلام للبيت الحرام

31	3.1.2 بناء المساجد لله، وموقف الإسلام من مسجد ضرار
33	4.1.2 البناء المادي من أجل صون الحقوق والحفاظ عليها وذلك من خلال قصة الغلامين اليتيمين
35	5.1.2 نماذج
38	2.2 العمران السياسي وسبل تحقيقه
39	1.2.2 مفهوم العمران السياسي
40	2.2.2 العمران سبيل النهوض السياسي
42	3.2.2 طاعة أولي الأمر سبيل لتحقيق العمران السياسي
44	4.2.2 مبدأ الشورى في الإسلام وأثره في نمو العمران السياسي
46	5.2.2 ضمان استقرار العمران السياسي من خلال العهود والمواثيق
48	3.2 العمران الاقتصادي في ضوء القرآن الكريم
49	1.3.2 مفهوم العمران الاقتصادي
50	2.3.2 أثر الزكاة والصدقة في استقرار العمران الاقتصادي
54	3.3.2 تحريم الربا لحماية العمران الاقتصادي
57	4.3.2 السياسة الاقتصادية الحكيمة من خلال قصة يوسف عليه السلام
59	4.2 العمران الاجتماعي في ضوء القرآن الكريم
61	1.4.2 العمران المعنوي السكن الزوجي
62	2.4.2 البناء الأسري ودوره في البناء الاجتماعي
64	3.4.2 العلاقات الأسرية
67	4.4.2 الحث على حسن المعاملة في الإسلام
69	5.4.2 الابتعاد عن العنف في المجتمع الإسلامي
73	<b>الفصل الثالث: الآثار المترتبة على عمران الأرض</b>
73	1.3 الآثار الإيجابية المترتبة على عمارة الأرض
74	1.1.3 مفهوم الفساد في الأرض
77	2.1.3 عقوبة المفسدين

79	2.3 ثواب المصلحين في الأرض
79	1.2.3 مفهوم الإصلاح في الأرض
81	2.2.3 امتداح الله سبحانه وتعالى للمصلحين في الأرض
85	3.2.3 الثواب الجزيل للمصلحين في الأرض
86	3.3 فائدة العمران
86	1.3.3 لا فائدة للعمران إذا لم يكن أهله على دين الحق
89	2.3.3 جعل هذا العمران مسكناً آمناً لأهله
92	الخاتمة
97	قائمة المصادر والمراجع



## الملخص العمران في القرآن الكريم

ماهر محمد العوفي

جامعة مؤتة، 2014

تتناول هذه الدراسة الحديث عن العمران في القرآن الكريم من وجهة نظر تفسيرية موضوعية وذلك لورود عدد من الآيات القرآنية التي تتناول هذا الموضوع ومن هنا فقد قسم الباحث دراسته إلى مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة وهي كما يلي:  
الفصل الأول: مفهوم العمران في ضوء القرآن الكريم، والفصل الثاني: ميادين العمران في القرآن الكريم، ويتناول الحديث عن العمران المادي، والسياسي، والاجتماعي، والاقتصادي، أما الفصل الثالث: فيتناول الحديث عن الآثار المترتبة على عمران الأرض.

ومن هنا فقد اهتمّ الباحث بخطوات المنهج الاستقرائي للوصول إلى نتائج هذه الدراسة، ومعرفة ما يرتبط به هذا العمران في نصوص آيات القرآن الكريم، التي جاءت من أجل بناء المجتمع، ولا يكون ذلك البناء إلا من خلال عناصر العمران المادية، والسياسية، والاقتصادية، والاجتماعية، فهذه كلها لها دورها الكبير في تشكيل عناصر البناء والعمران في جسم المجتمع الإسلامي.

وانطلاقاً من هذه المنظومة البنائية والعمرانية في ديننا الحنيف يمكننا أن نعي تماماً تلك الأهمية التي أولها الإسلام للعمران بكافة أشكاله، إذ من خلال هذه المنظومة المتناسقة يمكن الوصول إلى عمران مجتمعي حقيقي بكافة أشكاله وأنواعه.

**Abstract**  
**Urbanism in the Qur'an**

**Maher mohammed aloufi**

**Mu'tah University, 2014**

This study examines the talk about urbanization in the Koran from the perspective of an objective and explanatory to the receipt of a number of Koranic verses that deal with this subject, and here was divided researcher to study the introduction, three chapters and a conclusion are as follows :

Chapter I: The concept of urbanization in the light of the Holy Quran, Chapter II: the fields of urbanization in the Koran, and Chapter III: Implications for Imran Earth .

The researcher concluded a number of findings, including :

The political structure in Islam on several pillars, and I've been able Omran Islamic political input all spectrums of the Muslim community in the completion of this building, starting from the individual, through the group, and the end of society is recognized as a whole, as given by each of these parties to its proper role in the completion of this political construction Muslim, and I've tried to Islam cancel classes as much as possible by imposing Zakat on the rich, give to the poor, and by the prohibition of usury in order not to increase the rich richer and the poor poorer, and based Omran moral in Islam, according to the texts of the Koran on two pillars: the first: it good good manners, honesty, honesty, and soft, and the second: Prevention of morality reprehensible, such as lying, stealing, and cheating

## المقدمة

الحمد لله الذي خلق الإنسان، وعلمه البيان، وخلق السماوات والأرض وبث فيها من كافة الأشكال والألوان، والصلاة والسلام على سيد الإنس والجان، محمد بن عبد الله وعلى آله وصحابه أولي الفضل والعرفان، وعلى التابعين ومن تبعهم إلى يوم مرجعهم إلى الخالق الديان، وبعد:

فإن قصد هذه الدراسة الحديث عن العمران في القرآن الكريم دراسة تفسيرية موضوعية، وذلك لأهمية هذا الموضوع في الجوانب الحضارية، ولحضور هذا الموضوع في آيات القرآن الكريم حضوراً لافتاً للنظر.

### أولاً: أهمية الدراسة:

تظهر أهمية هذه الدراسة في النقاط الآتية:

1 . ارتباط هذه الدراسة بالقرآن الكريم، وهو الكتاب الرباني الذي يستحق منا كل عناية واهتمام، وكلما كتبنا فيه من دراسات فإن ذلك لا يغني عن مزيد، فهو البحر الزاخر بما فيه من معانٍ وعبر، لذا فإن هذه الدراسة جاءت لتسلط الحديث عن بعض هذه الموضوعات القرآنية ذات الأهمية العلمية.

2 . لا بدّ للدراسات الحديثة في علوم التفسير من أن تلقي الضوء على نواحي الحياة البشرية التي يعيشها الناس في وقتنا الحاضر، وهو ما حاولت هذه الدراسة أن تصل إليه من خلال ربط عناصر العمران بكافة أشكال هذه الملامح الحضارية في حياة البشر.

3 . كما تظهر أهمية هذه الدراسة من حيث إنها تناقش موضوعاً مناقشة علمية تفسيرية تحاول الوصول إلى عناصر التفسير التي تقود إلى الفائدة العمرانية من كافة أشكال هذا العمران في حياة الفرد والمجتمع.

### ثانياً: مشكلة الدراسة:

وتتمثل مشكلة الدراسة في أنها تحاول أن تجيب عن الأسئلة الآتية:

. ما هو مفهوم العمران في ضوء القرآن الكريم؟

. ما هي الصورة المثلى لعمارة الكون في القرآن الكريم؟

. ما هي أبرز ميادين العمران في ضوء آيات القرآن الكريم؟

### ثالثاً: هدف الدراسة:

وتهدف هذه الدراسة إلى إبراز مفهوم العمران في القرآن الكريم، وبيان أهمية هذا العمران في حياة الناس جميعاً، كما تهدف الوقوف على أبرز ميادين العمران في كتاب الله تعالى، والحديث عن عناصر الإبداع العمراني التي أشار إليها القرآن الكريم، ومحاولة تسليط الضوء على أهمية تلك الأشكال العمرانية التي تناولها كتاب الله تعالى.

### رابعاً: الدراسات السابقة:

إن الباحث في هذا المجال يجد بعض الدراسات التي تساعد في إتمام هذه الدراسة، من خلال الدراسات التي تشير إلى بعض جوانبها، أو تتناول جوانب متناثرة ذات صلة بها، ومن بين هذه الدراسات ما كتبه الشيخ عبد الكريم بن صالح بن عبد الكريم الحميد بعنوان: عيوب تشييد البناء في دار الفناء، وتهدف هذه الدراسة إلى بيان المغالاة في البناء، والمبالغة فيه، حتى إنه ليكون وبالأعلى على صاحبه، واعتمد الباحث في توضيح هذه المبالغة في البناء على بعض الأقوال النبوية، والآيات القرآنية.

ومن بين تلك الدراسات ما كتبه عبد العزيز الخيل بعنوان: القرآن والسنة أساس تأويل العمارة الإسلامية، وتناولت هذه الدراسة الحديث عن العمارة الإسلامية بصورة عامة دون الحديث عن غيرها من أشكال العمارة، في حين أن دراستنا هذه تتناول العمارة في القرآن الكريم، بمفهومها الشامل.

كما كتب الدكتور عبد الباقي إبراهيم دراسة بعنوان: رحلة البحث عن الذات وأصول العمارة في الإسلام، وهذه الدراسة تناولت أيضاً الحديث عن تلك الأصول التي يعتمدها الإسلام في العمارة دون الحديث عن الأصول الأخرى في العمارة، وكذلك الحال نجده عند الدكتور يحيى رمضان، في دراسته: القرآن والعمران، فقد تناولت الحديث عن العمران في القرآن الكريم من خلال حديثها عن مظاهر هذا العمران في كتاب الله تعالى، غير أنها لم تسلط الضوء عليها من ناحية تفسيرية موضوعية.

إن ما يميز هذه الدراسة عن تلك الدراسات السابقة أنها لم تقصر الحديث عن العمارة المادية المتمثلة بالتشييد والبنيان، وإنما تطرقت للحديث عن العمارة المعنوية، كالعمارة الاجتماعية، والعمارة السياسية، كما تميزت بتركيزها عن أهداف الجوانب العمرانية في القرآن الكريم.

كما أن هناك بعض الدراسات التي تناولت بعضاً من مباحث هذه الدراسة، وذلك نحو ما كتبه الدكتور نبيل السمالوطي عن المجتمع الإسلامي، وهي دراسة بعنوان: بناء المجتمع الإسلامي، ولقد هدفت هذه الدراسة إلى بيان أهم المرتكزات التي يقوم عليها بناء المجتمع الإسلامي في الإسلام، كما هدفت إلى توضيح منهج الإسلام في التعامل مع الأسرة والفرد.

هذا بالإضافة إلى بعض الدراسات الأخرى التي تتناول جزءاً من أجزاء هذه الدراسة ومباحثها، ولكن هذه الدراسات جميعها لم تكن دراسات قرآنية تفسيرية محضة، وإنما انطلقت من المفاهيم الإسلامية بصورة عامة.

#### **خامساً: منهجية الدراسة:**

اعتمد الباحث في دراسته هذه على المنهج الاستقرائي الوصفي التحليلي القائم بدءاً على الاستقراء، ومن ثم يقوم بوضع الفرضيات، ثم يصل للنتائج، كي يصل في نهاية المطاف إلى النتائج الصحيحة، وهذا هو المنهج العلمي في الوصول إلى النتائج. إذ قام الباحث بإيراد تلك المواضع القرآنية التي تتناول جوانب العمران في كتاب الله سبحانه وتعالى، ثم قام بتحليلها حسب الفصول والمباحث التي تتناول الموضوع.

#### **سادساً: الهيكل التنظيمي للدراسة:**

وقد اقتضت طبيعة هذه الدراسة تناولها في مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة على النحو الآتي:

المقدمة: وفيها أهمية الدراسة وأهدافها والدراسات السابقة والمنهج الذي اتبعه الباحث فيها.

الفصل الأول: مفهوم العمران في ضوء القرآن الكريم.

المبحث الأول: تعريف العمران لغة واصطلاحاً:

المطلب الأول: العمران لغة واصطلاحاً.

المطلب الثاني: مفهوم العمران عند المفسرين أو العلاقة بين العمران والبنيان أو لألفاظ ذات الصلة.

المبحث الثاني: أهمية العمران في الإسلام في ضوء القرآن الكريم.

المبحث الثالث: آيات العمران في القرآن الكريم.

المبحث الرابع: الفرق بين العمران والبنيان.

الفصل الثاني: ميادين العمران في القرآن الكريم:

المبحث الأول: العمران المادي.

المطلب الأول: مفهوم العمران المادي.

المطلب الثاني: بناء إبراهيم عليه السلام للبيت الحرام.

المطلب الثالث: بناء المساجد لله، وموقف الإسلام من مسجد ضرار.

المطلب الرابع: البناء المادي من أجل صون الحقوق، من خلال قصة جدار الغلامين اليتيمين.

المطلب الخامس: نماذج

بناء صرح فرعون من أجل الرقي إلى السماء.

عرش بلقيس، وقصر سليمان عليه السلام.

المبحث الثاني: العمران السياسي:

المطلب الأول: مفهوم العمران السياسي.

المطلب الثاني: العمران سبيل للنفوذ السياسي "قصة يأجوج ومأجوج أنموذجاً".

المطلب الثالث: طاعة أولي الأمر سبيل لتحقيق العمران السياسي.

المطلب الرابع: مبدأ الشورى في الإسلام وأثره في نمو العمران السياسي.

المطلب الخامس: ضمان استقرار العمران السياسي من خلال العهود والمواثيق.

المبحث الثالث: العمران الاقتصادي في ضوء القرآن الكريم:

المطلب الأول: مفهوم العمران الاقتصادي.

المطلب الثاني: أثر الزكاة والصدقة في استقرار العمران الاقتصادي.

المطلب الثالث: تحريم الربا من أجل حماية العمران الاقتصادي.

المطلب الرابع: السياسة الاقتصادية الحكيمة من خلال سورة يوسف عليه السلام.

المبحث الرابع: العمران الاجتماعي:

المطلب الأول: العمران المعنوي السكن الزوجي.

المطلب الثاني: أهمية الأسرة في الإسلام ودورها في بناء المجتمع.

المطلب الثالث: تحريم عقوق الوالدين ووجوب برهما أساس من أسس العمران الاجتماعي.

المطلب الرابع: الحث على حسن المعاملة في الإسلام.

المطلب الخامس: الابتعاد عن العنف في المجتمع.

الفصل الثالث: الآثار المترتبة على عمران الأرض:

المبحث الأول: الآثار الإيجابية المترتبة على عمارة الأرض:

المطلب الأول: مفهوم الإفساد في الأرض.

المطلب الثاني: ذم الله سبحانه وتعالى للمفسدين.

المطلب الثالث: عقوبة المفسدين.

المبحث الثاني: ثواب المصلحين في الأرض:

المطلب الأول: مفهوم الإصلاح في الأرض.

المطلب الثاني: امتداح الله سبحانه وتعالى لأهل الإصلاح في الأرض.

المطلب الثالث: الثواب الجزيل للمصلحين في الأرض.

المبحث الثالث: فائدة العمران:

المطلب الأول: لا فائدة للعمران إذا لم يكن أهله على دين الحق.

المطلب الثاني: جعل هذا العمران مسكناً وآمناً لأهله.

الخاتمة: وتشتمل على أهم وأبرز النتائج.

وفي ختام هذه المقدمة فإن الباحث يرجو الله سبحانه وتعالى أن يجعل هذا العمل

خالصاً لوجهه الكريم، وأن يرزقه الأجر الجزيل على هذا العمل، وأن ينفع به طلبه

العلم، والحمد لله رب العالمين.

## الفصل الأول

### مفهوم العمران في ضوء القرآن الكريم

يتناول هذا الفصل الحديث الممهد لموضوع العمران في كتاب الله سبحانه وتعالى، إذ لا بد للباحث أن يبيّن المصطلحات الخاصة بالبحث قبل أن يشرع فيه، ومن هنا فسيتناول هذا الفصل تعريفاً للعمران لغة واصطلاحاً، ومن ثم بيان أهم مواضع الحديث عن العمران في كتاب الله سبحانه وتعالى.

#### 1.1 العمران لغة واصطلاحاً

##### 1.1.1 العمران لغة

حين نبحت في المعاجم اللغوية نجد ما يلي:

- 1 . أن العمران مأخوذ من الجذر "عمر" وهو العين والميم والراء، وهو مصدر لغوي واحد يدل على امتداد الشيء بعد الشيء، كما يدل على الارتفاع والعلو<sup>(1)</sup>.
- 2 . أن مصطلح العمران يرد فيها في مقابل مصطلح الخراب، فالعمران ضد الخراب<sup>(2)</sup>.

ومما يرد في المعاجم أيضاً داخلاً في هذا الجذر اللغوي لفظ "العمران" وهما طرفا الكمين من اللباس أو القميص<sup>(3)</sup>.

ولفظ العمران مأخوذ في اللغة من الجذر "عمر" ويقال للشجرة المعمرة التي طال عمرها، وصارت قديمة شجرة عمرية، أي طال عمرها، ويقال للمرء: عمر الله منزلك

---

<sup>1</sup>. ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا الرازي (1979م). معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، بيروت. لبنان، الطبعة الأولى، ج: 4، ص: 140.

<sup>2</sup>. ابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسن (ت: 321هـ). جمهرة اللغة، تحقيق: رمزي منير البعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت. لبنان، الطبعة الأولى، 1987م، ج: 2، ص: 773.

<sup>3</sup>. ابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل المرسي (ت: 458هـ). المحكم والمحيط الأعظم، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت. لبنان، الطبعة الأولى، 1421هـ، 2000م، ج: 2، ص: 152.



بك، وأعمره بك، أي: جعله أهلاً بك، كما يقال للمكان الذي فيه العمارة والعمران مكان عامر، ويقال لساكن الدار عامر، وجمعهم عُمَار<sup>(1)</sup>.  
وبهذا يظهر لنا المعنى اللغوي للفظ العمران، وهو كما نلاحظ يتعلق بالبناء، كما أنه متعلق بضد الخراب، وقد لا يكون ضد الخراب بناءً، وإنما قد يكون إحياء للمكان وما شاكل ذلك.

### 2.1.1 العمران اصطلاحاً

إن العمران والعمارة ضد الخراب، وحين تذهب العمارة والعمران لا يكون إلا الخراب<sup>(2)</sup>.

والعمارة والعمران أيضاً يتعلقان بإحياء المكان، وإشغاله بالأمر التي وُضِع لها في أصله<sup>(3)</sup>، كما تُطلق العمارة على كل شيء يمكن من خلاله إعمار المكان أياً كان ذلك الشيء، وإذا قيل: العُمارة، بالضم فإنه يقصد بها الأجر على العمارة<sup>(4)</sup>.

---

<sup>1</sup>. ابن منظور، أبو الفضل محمد بن مكرم بن علي جمال الدين (ت: 711هـ). لسان العرب، دار صادر، بيروت. لبنان، الطبعة الثالثة، 1414هـ، ج: 4، ص: 604.

<sup>2</sup>. المناوي، عبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين (ت: 1031هـ). التوقيف على مهمات التعاريف، دار عالم الكتب، عبد الخالق ثروت، القاهرة. مصر، 1410هـ، 1990م، ص: 154.

<sup>3</sup>. المناوي. التوقيف على مهمات التعاريف، ص: 247.

<sup>4</sup>. الكفوي، أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني (ت: 1094هـ). الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، تحقيق: عدنان درويش، ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت. لبنان، الطبعة الأولى، ص: 643.

### 3.1.1 مفهوم العمران عند المفسرين، وألفاظ ذات صلة بالعمران

ينطلق مفهوم العمران عند أهل التفسير من جوانب بنيان الأرض وعمارته بما يقتضيه الشارع الكريم، وهو ضد الدمار والخراب، فالعمران إذن سبيل إلى طاعة الله سبحانه وتعالى، وتحقيق استخلافه سبحانه للإنسان في الأرض<sup>(1)</sup>.

فهو \_ أي العمران \_ سبيل لطاعة الله تعالى، في حين أن الخراب والدمار سبيل إلى معصيته سبحانه وتعالى، والعمران بهذا المفهوم يؤدي دور الاستخلاف الإلهي في هذا الكون الفسيح<sup>(2)</sup>.

ومن ناحية أخرى فإنه يرد في كتاب الله سبحانه وتعالى بعض الألفاظ والمصطلحات التي توازي العمران، غير أنها تختلف عنه ببعض التفاصيل، ومن ذلك مصطلح "البنيان" وهو اسم لما يبنى من الحجر والطين ونحوه، والبنية: تُطلق للدلالة على بيت الله تعالى، ومن الناحية الدلالية فإن "البنيان" مفرد وليس جمعاً كما يتبادر إلى أذهان بعض الناس<sup>(3)</sup>.

ومن هنا فإن البنيان يلتقي مع العمران من حيث إنه يدل على البناء، في حين أن العمران يعدّ أشمل من البنيان بكثير، فلا يدل البنيان على النواحي الاجتماعية والاقتصادية والسياسية مثلاً، وإنما يقتصر في مفهومه العام على معنى البناء المعروف من الطين والحجر ونحوهما، أما العمران فهو شامل لذلك ولأشياء كثيرة أخرى كالعمران الاقتصادي والاجتماعي إلى غير ذلك من مظاهر العمران ضمن الحياة الإنسانية.

ولا يرد لفظ "البنيان" ومشتقاته في القرآن الكريم كورود العمران، إذ يرد البنيان ومشتقاته من: بنوا، وابنوا، وبناء، وبنيان، في ثلاثة عشر موضعاً في كتاب الله تعالى، وهذا العدد لا يشابه العدد الذي ورد فيه العمران ومشتقاته، فالعمران ومشتقاته أكثر وروداً في كتاب الله تعالى من البنيان ومشتقاته.

<sup>1</sup>. ابن عطية. المحرر الوجيز، ج: 5، ص: 113.

. رضا، محمد رشيد بن علي (1990م). تفسير المنار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.

مصر، الطبعة الأولى، ج: 11، ص: 284.

<sup>3</sup>. ينظر: المناوي. التوقيف على مهمات التعاريف، ص: 84.

## 2.1 أهمية العمران في ضوء القرآن الكريم

للعمران أهمية كبيرة في الإسلام، هذا ما أكدته نصوص القرآن الكريم، وفيما يلي بيان ذلك:

### 1.2.1 العمارة سبيل لتحقيق الاستخلاف في الأرض

بين القرآن الكريم في عدد من آياته الكريمات أهمية هذا العمران في حياة الناس، وأهميته في مسيرة الحياة الدنيا، علاوة على أهميته في إصلاح الأرض وإبعاد الفساد عنها، فأول ما يمكن لنا الوقوف عليه في أهمية هذا العمران في ضوء القرآن الكريم أنه يحقق مبدأ الاستخلاف في الأرض، يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَأِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ (البقرة، 30).

فالآية الكريمة واضحة الدلالة على أن الله سبحانه وتعالى قد جعل هذه الأرض مكاناً لاستخلاف الإنسان فيها، ولقد جاء استخلاف الإنسان في الأرض بعد أن أفسد الجان فيها، فأرسل الله سبحانه وتعالى جنداً من الملائكة على الجان، فقاتلهم وألحقوهم بشعوب الجبال، والمياه، والشعاب وغيرها، ثم أراد الله سبحانه وتعالى أن يخلق في هذه الأرض خليفة يستخلفه من أجل عمارة هذه الأرض، فكان ما كان من خلق الإنسان<sup>(1)</sup>.

يعني ذلك أن أهم شيء يتوجب على الإنسان القيام به من أجل تحقيق الاستخلاف في الأرض يتمثل بعمارتها، ومن هنا فإن الله سبحانه وتعالى كان يرسل المرسلين

---

<sup>1</sup>. الثعلبي، أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم (ت: 427هـ). الكشف والبيان عن تفسير القرآن، تحقيق: الإمام أبو محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: نظير الساعدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت. لبنان، الطبعة الأولى، 1422هـ، 2002م، ج: 1، ص: 175 - 176.

والأنبياء من أجل التأكيد على مسألة عمارة الأرض، وتحقيق مبدأ الاستخلاف الذي اناطه الله سبحانه وتعالى بهذا الإنسان<sup>(1)</sup>.

وترد الآيات الكريمة الدالة على مفهوم الاستخلاف في الأرض لتؤكد على هذا المبدأ الأساسي في حياة الإنسان، إذ يقول الله سبحانه وتعالى: "وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ"، (البقرة: 30).

وفي موضع آخر يقول سبحانه: " وَرَبُّكَ الْعَنِّي دُو الرِّحْمَةِ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِكُمْ مَا يَشَاءُ كَمَا أَنْشَأَكُمْ مِنْ ذُرِّيَةِ قَوْمٍ آخَرِينَ" (الأنعام: 133).

وفي قوله تعالى أيضاً: " وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيُبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ"، (الأنعام: 165).

وفي قوله تعالى: " أَوْعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَرَأَيْتُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةَ الْيَدِ فَأَذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ"، (الأعراف: 69).

وقوله تعالى: "وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سَهُولِهَا فُصُورًا وَتَتَّخِثُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا فَأَذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ وَلَا تَعْتَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ"، (الأعراف: 74).

وقوله تعالى: " قَالُوا أُوذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِينَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ"، (الأعراف: 129).

وقوله تعالى: "فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِثْلَهُ يَأْخُذُوهُ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ وَالِدَارُ الْأَخْرَى خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ"، (الأعراف: 169).

<sup>1</sup>. البيضاوي، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد (ت: 685هـ). أنوار التنزيل

وأسرار التأويل، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت .

لبنان، الطبعة الأولى، 1418هـ، ج: 1، ص: 68.

وقوله تعالى: " ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ"،  
(يونس: 14).

وقوله تعالى: " فَكَذَّبُوهُ فَجَبَّيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَجَعَلْنَاهُمْ خَلَائِفَ وَأَعْرَفْنَا الَّذِينَ  
كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنذِرِينَ"، (يونس: 73).  
وقوله تعالى: " فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ  
وَلَا تَضُرُّونَهُ شَيْئًا إِنَّ رَبِّي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ"، (هود: 57).

وقوله تعالى: "وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ  
كََمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ  
خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ"،  
(النور: 55).

وقوله تعالى: " أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ  
أَنِلَّهُ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ"، (النمل: 62).

وفي قوله تعالى أيضاً: "هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ  
وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا"، (فاطر:  
39).

وقوله سبحانه وتعالى: "يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ  
بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ  
عَذَابٌ شَدِيدٌ"، (ص: 26).

وقوله سبحانه وتعالى أيضاً: " وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ مَلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُقُونَ"،  
(الزخرف: 60).

وفي قوله سبحانه وتعالى أيضاً: " أَمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلِفِينَ  
فِيهِ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ"، (الحديد: 7).

فهذه الآيات الكريمة جميعها تدلّ على تأكيد الله سبحانه وتعالى على مبدأ  
الاستخلاف في الأرض، وذلك أن هذا المبدأ هو الذي خلقه الله تعالى لكافة البشر،  
وأكد عليه ضمن آياته الكريمة، وعمارة الأرض من بين الأمور التي يمكن من خلالها  
تحقيق هذا المبدأ الإلهي في الأرض.

وعمارة الأرض كما أشرنا من قبل مفهوم واسع يشتمل على كافة أشكال إقامة العمران في هذه الأرض، سواء في الحكم بالعدل، وإقامة شرع الله سبحانه وتعالى فيها، الأرض، أم بزراعتها، والغرس فيها، أو بإجراء المياه والأنهار فيها كي تصلح أرضها، أو بإقامة البناء وتشبيد العمران فيها، فجميع هذه الأمور، وغيرها مما يصلح بها حال هذه الأرض يدخل ضمن إطار الاستخلاف فيها، وعمارته على الوجه الصحيح السليم الذي أراده الله سبحانه وتعالى لها<sup>(1)</sup>.

فمن خلال ما سبق كله يتضح لنا أن أبرز أهمية للعمران في الإسلام تتمثل بتحقيق مبدأ الاستخلاف في هذه الأرض، إذ إنه سبحانه وتعالى جعل الاستخلاف مرتبطاً بهذا الإنسان الذي كرمه الله سبحانه وتعالى، وجعله مكرماً دون سائر مخلوقاته، لذا فإن الاستخلاف لا بد أن يرتبط ارتباطاً وثيقاً بواحد من أبرز مظاهره ألا وهو عمارة الأرض، ومن هنا تبرز أهمية هذا العمران في كتاب الله سبحانه وتعالى.

### 2.2.1 العمران لتحقيق العزة

ومن ناحية أخرى فإن عمارة الأرض تؤدي بصاحبها إلى العزة، غير أننا لا نقصد العزة الذميمة التي تؤدي إلى الكبر ومعصية الله تعالى، وإنما نقصد العزة المحمودة التي تؤدي بدورها إلى طاعة الله تعالى، وامتنال أوامره، هذا ما يمكن أن نتلمسه من قوله سبحانه وتعالى في سورة الكهف في قصة الجنتين: ﴿وَكَاثِلُهُ، ثُمَّ قَالِ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ: أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿٣٤﴾﴾ (الكهف، 34).

فإن ما دفع صاحب الجنة إلى قوله هذا لصاحبه، ما هو إلا مقدرته الكامنة في عمارة هذه الأرض بالزراعة، مما أدخل على نفسه العزة، ومن ثم دخل نفسه الغرور الذي أدى به إلى أن يظلم نفسه، فيخسر كل شيء، والشاهد من هذه الآية الكريمة أن

<sup>1</sup>. أبو حيان، محمد بن يوسف بن علي بن يوسف الأندلسي (ت: 745هـ). البحر المحيط، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت. لبنان، الطبعة الأولى، 1420هـ، ج: 1، ص: 227.

القدرة على إعمار الأرض تمثل دافعاً وحافزاً للإنسان على أن يكون عزيزاً في نفسه وماله<sup>(1)</sup>.

كانت المقدرة على عمارة الأرض صاحب الجنة تمنحه مزيداً من العزة، فهو علاوة على كثرة ماله، وكثرة عياله فهو قادر على الاستفادة من هذه المقومات، والوصول إلى عمارة الأرض التي قد لا يصل إليها كثير من الناس، غير أنه لم يبق عزيزاً بهذه العمارة، ولم يكن حافظاً لها على الوجه التام، مما أخلفه ذلاً بعد عز، وفقراً بعد غنى<sup>(2)</sup>.

فهذه العمارة تؤدي إلى إظهار العزة المحمودة في الإسلام، ومن هنا فإن عمارة الأرض اتخذت أهميتها من أهمية هذه العزة التي يجب على المسلم أن يتصف بها، علاوة على ما تشير إليه من المعنى الحقيقي للعمارة.

### 3.2.1 عمران الأرض وعلاقته بالتبتل

يلتقي العمران مع التبتل في ناحية أنهما طاعتان لله سبحانه وتعالى، فإن عمارة الأرض سبيل لتحقيق طاعة الله تعالى، كما أن التبتل سبيل لطاعته سبحانه وتعالى أيضاً، وقد ربطت الآيات القرآنية الكريمة بين هذا العمران والتبتل في سبيل تحقيق الاستخلاف في الأرض<sup>(3)</sup>، وهو ما يفهم من خلال قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَإِلَّا تُمَوِّدْ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَقَوْمِ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ ﴿٦١﴾﴾ (هود، 61).

<sup>1</sup>. الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو (ت: 538هـ). الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل،

دار الكتاب العربي، بيروت. لبنان، الطبعة الثالثة، 1407هـ، ج: 2، ص: 721.

<sup>2</sup>. النيسابوري، نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين (ت: 850هـ). غرائب القرآن و رغائب

الفرقان، تحقيق: الشيخ زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، بيروت. لبنان، الطبعة الأولى،

1416هـ، ج: 4، ص: 430.

<sup>3</sup>. النيسابوري، أبو القاسم محمود بن أبي الحسن بن الحسين (ت: 550هـ). إيجاز البيان عن

معاني القرآن، تحقيق: حنيف بن حسن القاسمي، دار الغرب الإسلامي، بيروت. لبنان،

الطبعة الأولى، 1415هـ، ج: 1، ص: 415.

الآية تدل على أن عمارة الأرض من عبادة الله؛ لأن مفهوم العبادة لا ينحصر في أقوال وأفعال مخصوصة وإنما يمتد ليشمل كل نشاط الانسان.

ولم تكن العمارة المعنوية للأرض بأقل أهمية عن العمارة المادية المتمثلة بالبنيان، فلقد أشار الله سبحانه وتعالى في بعض آياته إلى تلك البيوت التي يعمرها الناس من أجل أن يسكنوها، وما ذاك إلا منة منه سبحانه وتعالى، وتفضل منه على عباده، ومظهر من مظاهر نعمته عليهم، يقول سبحانه وتعالى في سورة النحل: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَابِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثْنَا وَمِئَةً إِلَى حِينٍ ﴿٨٠﴾﴾ (النحل، 80).

فهذه الآية الكريمة تبين بشكل غير مباشر أهمية العمران المادي في هذه الحياة الدنيا، إذ إنه سبحانه وتعالى يبين مناط نعمته على عباده بأن جعل لهم من الحجر والخشب والآلة ما يمكنهم من بناء البيوت المدرية التي تستر عوراتهم، وتقيهم الحر والبرد، كما إنه سبحانه قد جعل للناس من جلود الحيوانات والدواب وشعورها وأصوافها ما يمكنهم من صنع الخيام والقباب والأخبية التي يسهل عليهم حملها ونقلها في حال الترحال، فهذا كله من نعمه سبحانه وتعالى على عباده، كما أنه كله يُظهر الأهمية الكبيرة للعمران في حياة الإنسان إذ هو سكن له وستر لعيوبه<sup>(1)</sup>.

فهذه البيوت التي خلق الله سبحانه وتعالى مادتها للناس تمثل المكان الذي يرتاحون فيه ويسكنون إليه، ولما كانت هي موئل الراحة، وموضع الاستتار، ومكان الانتقاء من البرد والحر فإنها استحققت أن يكون لها أهمية كبيرة في حياة الإنسان، وهذا

---

<sup>1</sup>. الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد (ت: 468هـ). الوسيط في تفسير القرآن المجيد، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض، وأحمد محمد صديرا، وأحمد عبد الغني الجمل، وعبد الرحمن عويس، قدمه وقرضه: عبد الحي الفرماوي، دار الكتب العلمية، بيروت . لبنان، الطبعة الأولى، 1994م، ج: 3، ص: 76.



كله من نعمه سبحانه وتعالى عليه، علاوة على أهميتها في التطور والتمدن بين الناس<sup>(1)</sup>.

لقد تبين لنا من خلال ما سبق كيف أن الإسلام من خلال نصوص القرآن الكريم قد أولى العمران أهمية كبيرة في حياة الإنسان المسلم، وذلك لما لهذا العمران من أثر في الحياة، ولما ينبغي أن يتبعه من طاعة لأوامر الله سبحانه وتعالى، إذ يمكننا أن نبين أبرز مظاهر أهمية هذا العمران في الإسلام بالنقاط الآتية:

أولاً: يمثل العمران في الإسلام تحقيقاً لمبدأ الاستخلاف في الأرض، إذ لا يمكن للإنسان أن يحقق هذا المبدأ إلا من خلال إقامة هذا العمران فيها، ولا يقتصر العمران على النواحي المادية فحسب، بل إنه يشمل جميع النواحي المادية والمعنوية، كالزراعة، والصناعة، وبناء البيوت، وإقامة حكم الله تعالى، وتحقيق العدالة بين الناس، وإعطاء كل مكان حقه الموضوع له.

ثانياً: ثم تأتي الأهمية الثانية للعمران من خلال كتاب الله سبحانه وتعالى، وتتمثل في جانب أن هذا العمران يمنح العزة للمسلم في بلده، ويظهر قدرة هذه الأمة على إقامة العمارة في الأرض، غير أنه سبحانه وتعالى حذر من تحول هذه العزة إلى غرور يؤدي بصاحبه إلى الهلاك.

ثالثاً: ومن أهمية العمارة في الإسلام أنها تحقق الأمن للإنسان، إذ من خلال ما يعمره من بيوت وقباب وخيام يستطيع أن يستر عوراته، ويخفي عيوبه، وأن يقي نفسه من حر الصيف وبرد الشتاء، علاوة على ما يحققه العمران في الزراعة والصناعة وغيرها من مجالات الحياة من تهدئة لنفسه، واستقرار لحياته.

هذه الأمور كلها تمثل الأهمية الكبيرة للعمران في الإسلام من خلال نصوص كتاب الله العزيز.

---

<sup>1</sup>. البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد (ت: 516هـ). معالم التنزيل في تفسير القرآن، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت. لبنان، الطبعة الأولى، 1420هـ، ج: 3، ص: 90.

### 3.1 آيات العمران في القرآن الكريم

يرد لفظ العمران ومشتقاته في القرآن الكريم في خمس عشرة موضعاً، وفيما يلي استعراض لهذه الآيات الكريمة:

1 . في قوله سبحانه وتعالى: ﴿ وَلَنَجْذِثَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاتِهِ وَمَنْ أَلْدِينُ أَشْرَكُوا يَوْمَ إِحْدَهُمْ لَوْ يَعْمُرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحَّزَجَةٍ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴾ (البقرة، 96).

والشاهد في الآية الكريمة قوله: "يُعَمَّر" والمقصود به الامتداد في العمر، وتشير الآية الكريمة إلى أن أهل الغفلة والكفر من اليهود والمشركين يحبون الحياة، مع علمهم أنها فانية، ومهما طال بهم العمر فإنهم لن يتزحزحوا عن النار<sup>(1)</sup>.

2 . وفي قوله سبحانه وتعالى أيضاً: ﴿ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسْجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَيْهِ أَنْفُسِهِمْ بِالْكَفْرِ أُولَئِكَ حِطَّتْ أَعْمَلُهُمْ فِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ ﴾ (التوبة، 17).

وهو قوله سبحانه: "يعمروا"، والمعنى في الآية الكريمة أنه ما كان للمشركين أن يعمروا مساجد الله بالكفر، أو أن يعمروها بزيارتها وهم كفار بها، فإنهم إن فعلوا ذلك فكأنهم يشهدون على أنفسهم بالكفر<sup>(2)</sup>.

3 . وفي موضع آخر يقول سبحانه وتعالى: ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسْجِدَ اللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَحْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَىٰ أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ﴾ (التوبة، 18).

واللفظ المشتق من العمران في الآية الكريمة هو قوله سبحانه: "إنما يعمر"، والمقصود بعمارة المساجد أن يرتادها الإنسان، ويعمل أعمال الإيمان فيها، لذا فإن من يفعل ذلك يكون مؤمناً بالله وباليوم الآخر ويسائر أركان الإيمان الأخرى<sup>(1)</sup>.

<sup>1</sup> . القشيري، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك (ت: 465هـ). لطائف الإشارات، تحقيق: إبراهيم

البيسوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة . مصر، الطبعة الثالثة، ج: 1، ص: 107.

<sup>2</sup> . الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد (ت: 450هـ). النكت والعيون، تحقيق: السيد بن

عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت . لبنان، ج: 2، ص: 346.

والغاية من عمارة المساجد تتمثل بقوله سبحانه وتعالى: " فِي بُيُوتِ الَّذِينَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْأَعْدُوِّ وَالْأَصَالِ"، (النور: 36)، يعني أن الغاية من هذه المساجد ذكر الله فيها، والتسبيح وعبادته سبحانه وتعالى.

4 . ويقول الله سبحانه وتعالى في السورة نفسها: ﴿ أَجْعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ (التوبة، آية: 19).

وهو قوله: "عمارة" والمقصود بهذا اللفظ المكوث على خدمة البيت الحرام، ولقد كان المشركون يرون في سقايتهم للحجاج وإعمارهم لهذا المسجد الحرام عملاً خيراً من دين الإسلام، وبذلك شهد لهم اليهود لعنهم الله، فنزلت هذه الآية لتبين لهم أنه لا يستوي عند الله الإيمان به سبحانه، وسقاية الحجيج وعمارة المسجد الحرام<sup>(2)</sup>.

5 . وفي موضع آخر يقول سبحانه وتعالى: ﴿ قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ (يونس، 16).

ولفظ العمران المشتق في هذه الآية الكريمة يتمثل بقوله سبحانه: "فيكم عمراً"، والمقصود من الآية الكريمة بيان أن النبي الكريم . صلى الله عليه وسلم . لم يكن يحدث الناس بالقرآن من عنده، إذ لو كان القرآن من عنده . حاشاه . لما لبث أربعين سنة في مكة لا يحدث الناس بشيء من القرآن، فكيف إذن جاءه القرآن إن لم يكن من عند الله سبحانه وتعالى؟ والمقصود بالعمر هاهنا المدة الزمنية التي مكثها النبي . صلى الله عليه وسلم . في مكة قبل نزول الوحي عليه بالقرآن الكريم<sup>(3)</sup>.

---

<sup>1</sup> . ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب الأندلسي (ت: 542هـ). المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت . لبنان،

الطبعة الأولى، 1422هـ، ج: 3، ص: 15 . 16.

<sup>2</sup> . انظر: ابن عطية. المحرر الوجيز، ج: 6، ص: 40.

<sup>3</sup> . الجوزي، أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت: 597هـ). زاد المسير في علم التفسير، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، بيروت . لبنان، الطبعة الأولى،

1422هـ، ج: 2، ص: 321.

6 . ويقول سبحانه وتعالى أيضاً: ﴿ وَإِلَىٰ تَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَقَوْمِ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِن إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوا لَهُ ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴾ (هود: 61).

ألا وهو قوله سبحانه: واستعمركم، والمقصود هاهنا بالاستعمار الاستخلاف كما أوردنا في الصفحات السابقة، أي أن الله سبحانه وتعالى استبقاكم في هذه الأرض لتعمروها بكل ما يمكن، سواء بشق الأنهار، وغرس الأشجار وغيرها، وقيل المعنى أطال الله أعماركم في هذه الأرض حتى تحسنوا فيها<sup>(1)</sup>.

7 . وفي موضع آخر يقول سبحانه وتعالى: ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يُوَفِّقُكُم وَيُنَزِّلُ إِلَىٰ أَرْضِكُم مِّنَ السَّمَاءِ أَنْزَلَ لَكُمْ مِمَّا فِيهَا أَنْبَاءً وَإِلَىٰ عَمَلِكُمْ مُّجِيبٌ ﴾ (النحل، 70).

واللفظ المشتق من العمران في الآية الكريمة يتمثل بقوله سبحانه: "أرذل العمر"، والمقصود بالعمر هاهنا عمر الإنسان، ولقد قيل في أرذل العمر أربعة أقوال: الأول: أنقصه وأضعفه، والثاني: الهرم، والثالث: ثمانون سنة، والرابع: خمسة وسبعون عاماً<sup>(2)</sup>.

8 . وفي موضع آخر يقول سبحانه وتعالى: ﴿ بَلْ مَنَعْنَا هَؤُلَاءِ وَءَابَاءَهُمْ حَتَّىٰ طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴾ (الأنبياء، 44).

وذلك متمثل بقوله: "العمر"، والمقصود بهذا اللفظ الزمن، أي أن المعنى: حتى طال عليهم الزمن، والحديث في الآية الكريمة عن الكفار والمشركين<sup>(3)</sup>.

9 . وفي موضع آخر يقول سبحانه وتعالى: ﴿ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّن تَرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُّخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنكُم مَّن يُؤَفِّقُ وَالْمَنكُم مَّن يَؤُودُ الْغَالِبُ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴾ (الحج، 5).

<sup>1</sup> . الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن حسن بن حسين (606هـ). مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير، دار إحياء التراث العربي، بيروت . لبنان، الطبعة الثالثة، 1420هـ، ج: 18، ص: 367 . 368.

<sup>2</sup> . الماوردي. النكت والعيون، ج: 3، ص: 200.

<sup>3</sup> . البغوي. معالم التنزيل، ج: 3، ص: 290.

واللفظ المشتق من العمران في الآية الكريمة هو لفظ "العمر"، والمقصود من أرذل العمر في الآية الكريمة أخسه، وهو المرحلة التي يهرم فيها الإنسان، ويصيبه فيها الخرف، وقال عكرمة: من قرأ القرآن لم يخرف<sup>(1)</sup>.

10 . وفي موضع آخر يقول سبحانه وتعالى أيضاً: ﴿ قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِمَّنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴾ (الشعراء، 18).

وهذا اللفظ أيضاً لا يختلف كثيراً عن اللفظ السابق، وهو مشتق من العمران، وهو قوله: "من عمرك"، وهذا اللفظ جاء من فرعون لموسى . عليه السلام . وقد قصد منه أننا ربيناك بيننا سنين من عمرك، ثم تجازينا بهذا الجزاء، ولقد<sup>(2)</sup>.

11 . وفي موضع آخر يقول سبحانه وتعالى أيضاً: ﴿ وَلَنَكُنَّ أَنْشَانَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ وَمَا كُنْتَ ثَاوِيًا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَلَنَكُنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴾ (القصص، 45).

واللفظ المشتق من العمران في الآية الكريمة هو قوله: "العمر"، إذ يشير هذا اللفظ في الآية الكريمة إلى معنى الأمد، والمعنى: فتطاول عليهم الأمد، أي طال العهد بهم<sup>(3)</sup>.

12 . وفي موضع آخر يقول سبحانه وتعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ (الروم، 9).

يرد في هذه الآية القرآنية الكريمة لفظان مشتقان من العمران، وهما مكرران، وهو قوله سبحانه: عمروها"، و"أكثر مما عمروها"، والقصد من الإعمار في هذه الآية

---

<sup>1</sup> . السمعاني، أبو المظفر منصور بن محمد المرزوي (489هـ). تفسير القرآن، تحقيق: ياسر بن إبراهيم، وغنيم عباس غنيم، دار الوطن، الرياض . السعودية، الطبعة الأولى، 1997م، ج: 3، ص: 421.

<sup>2</sup> . الجزوي. زاد المسير، ج: 3، ص: 336.

<sup>3</sup> . القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر (ت: 671هـ). الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة . مصر، الطبعة الثانية، 1964م، ج: 13، ص: 291.

الكريمة إعمار الأرض بالحرثة والبناء، إذ عقد القرآن الكريم مقارنة بين ما كانت عليه الأمم من عاد وثمود ومقدرتهم على إثارة الأرض وعمارتها، وبين أهل مكة الذين يسكنون وادياً غير ذي زرع، فأهل مكة لم يعمروا الأرض كما عمرها قوم عاد وثمود<sup>(1)</sup>.

13 . وفي موضع آخر يقول سبحانه: ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلَا يُنْقِصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١١﴾ ﴾ (فاطر، 11).

لقد وردت ثلاثة ألفاظ في الآية الكريمة من جذر العمران، وهي: يُعمر، ومعمر، وعمر، وهذه الألفاظ الثلاثة مرتبطة مع بعضها بعضاً في المعنى، ومعنى الآية الكريمة أنه لا يطول عمر إنسان ولا يقصر إلا بعلم الله تعالى، وإلا في كتاب عنده<sup>(2)</sup>.  
14 . ويقول سبحانه وتعالى في موضع آخر: ﴿ وَهُمْ يَصْطَرِحُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ ﴿٣٧﴾ ﴾ (فاطر، 37).

لقد ورد في هذه الآية الكريمة لفظ مشتق من العمران، ألا وهو "تعمركم"، والمقصود من هذه اللفظة أن الله سبحانه وتعالى قد اعذر بني آدم عند عمر معين، قيل ثمانى عشرة سنة، وقيل أربعين، وقيل ستين، والقصد عموماً عمر الإنسان الذي أحياه الله سبحانه وتعالى إياه<sup>(3)</sup>.

15 . وفي موضع آخر يقول سبحانه وتعالى أيضاً: ﴿ وَمَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ (يس، 68).

لقد ورد في هذه الآية أيضاً لفظ "نعمره" وهو مشتق من العمران أيضاً، ومعنى "نعمره" نطيل في عمره، والقصد من التنكيس في الخلق أي يرد إلى أرذل العمر، وقيل

<sup>1</sup>. الزمخشري. الكشاف، ج: 3، ص: 469.

<sup>2</sup>. الخازن، علاء الدين أبو الحسن علي بن محمد بن إبراهيم (ت: 741هـ). لباب التأويل في معاني التنزيل، تحقيق: محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت. لبنان، الطبعة الأولى، 1415هـ، ج: 3، ص: 454.

<sup>3</sup>. الواحدي. الوسيط في تفسير القرآن المجيد، ج: 3، ص: 506.

يصيره من القوة إلى الضعف، ومن الزيادة إلى النقصان، ومن الحدة والظراوة إلى البلاء والخلوقة، فكأنه قد نُكس حاله<sup>(1)</sup>.

هذه هي أبرز مواضع ذكر العمران ومشتقاته في القرآن الكريم، ومن خلال النظر في هذه الآيات الكريمة يمكن للباحث أن يستنتج ما يلي:

أولاً: يرد لفظ العمران ومشتقاته في القرآن الكريم ضمن السور المكية والمدنية على السواء، فقد ورد في ستة مواضع مدنية، وتسعة مواضع مكية، مما يدل على أن ورود العمران في السور المكية أكثر من وروده في السور المدنية، كما يدل على أن هذا العمران مقصود أساساً من أسس الدين، فقد أوضحت الآيات أن عمارة الأرض مبدأ إلهي منذ نزول آدم عليه السلام، فقصص الأنبياء السالفين تشتمل على الحديث عن هذا العمران كما ورد في الآيات السابقة.

ثانياً: يرد العمران ومشتقاته في القرآن الكريم للمعاني الآتية:

أ . معنى الاستخلاف في الأرض وعمارتها.

ب . معنى طول العمر.

ج . معنى حياة الإنسان بأكملها.

د . معنى الأمد أو العهد أو الزمن.

ثالثاً: حينما يرد أي لفظ مشتق من العمران في الآية الكريمة فإنها تدل على موضع نعمة أو امتنان من الله سبحانه وتعالى، أو إشارة إلى أن طول العمر لا يغني عن الإنسان شيئاً إذا لم يكن صالحاً.

رابعاً: لم يرد لفظ "العمران" صراحة على هذه الشاكلة إلا في بعض المواضع التي قُصد منها اسم العَلَم "عمران" وليس القصد منها الإعمار، ومن بينها اسم السورة "آل عمران"، وهذا العَلَم لا يمثل جزءاً من العمران، بل هو مجرد عَلَم لا يمكن دراسته في هذه الدراسة.

خامساً: يتعلق العمران في أكثر أحيانه بالجوانب الإيجابية، كعمارة الأرض بإقامة العدل فيها، وعمارته بإجراء الأنهار وزراعتها أحسن الزراعة، وعمارة المساجد وغيرها، فجميع هذه الملامح ما هي إلا ملامح للعمارة الإيجابية.

<sup>1</sup>. الثعلبي. الكشف والبيان، ج: 8، ص: 135.

سادساً: إن أكثر مشتقات العمران وروداً في كتاب الله سبحانه وتعالى هو "العُمر"، الذي يقصد منه مدة حياة الإنسان، أو المدة الزمنية التي عاش فيها الإنسان في مكان ما، كقوله: لبثت فيكم عمراً".

#### 4.1 الفرق بين العمران والبنيان من خلال القرآن الكريم

يمكن أن يكون هناك بعض التلاقي في المعنى بين اللفظين "العمران والبنيان"، غير أن هذا التلاقي في ظن الباحث لا يرقى إلى مرتبة الترادف، بل إنه لا بد من وجود عنصر ما يفرق معنى العمران عن معنى البنيان، وهذا ما سيسعى الباحث للوصول إليه من خلال هذا المبحث إن شاء الله تعالى.

##### 1.4.1 معنى البنيان لغة واصطلاحاً

ويشير المعنى اللغوي للبناء على أنه من الجذر اللغوي "بني"، والبناء ضد الهدم، ويقال: بنى البناء البناء بنية، وابتناه، يعني ذلك شيد البناء وأقامه، والبناء أيضاً المبني من الحيطان والجدران حتى يعلو من الحجر والطين ونحوهما، وقد تستعمل العرب البناء في الشرف أيضاً، ويقال: بنى داراً، وابتنى بيتاً، والبنيان الحائط<sup>(1)</sup>.

فمن خلال ما سبق يتضح لنا أن المعنى اللغوي للبناء متعلق بما يشيد من الجدران والحيطان والبيوت ونحوها، فكل هذا يمكن لنا أن نسميه بنياناً، أما في الاصطلاح فإنه يظهر لنا أن البنيان جمع لا مفرد له، يدل على ذلك قوله سبحانه وتعالى: ﴿كَأَنَّهُمْ بُنِينَ مَرصُوضٍ﴾ (الصف، 4).

والبناء اسم لكل ما يُبنى، والبنية يعبر بها عن بيت الله تعالى<sup>(2)</sup>.

والبناء بالكسر والمد يعني العمارة، وإحضار الزوجة للمنزل، وعدم إعراب اللفظ. وعند الفقهاء عدم تجديد التحريم الأخرى وإتمام ما بقي من الصلاة التي سبق للمصلي الحدث فيها بالتحريم الأولى، ويقابله الاستئناف<sup>(1)</sup>.

<sup>1</sup>. ابن منظور. لسان العرب، ج: 14، ص: 93 . 94.

<sup>2</sup>. المناوي. التوقيف على مهمات التعاريف، ص: 84.



## 2.4.1 آيات البناء في القرآن الكريم

من خلال ما سبق يمكننا أن نستوضح معنى البنيان، فهو متعلق بجميع أشكال البناء وتشيد الجدران، غير أننا إذا أردنا أن نفهم الفرق تماماً بين العمران والبنيان فإنه يتوجب علينا أن نورد أهم الآيات القرآنية التي اشتملت على لفظ البنيان أو أحد مشتقاته.

يقول سبحانه وتعالى: ﴿ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُيُوتَهُ عَلَى تَقْوَىٰ مِنْ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُيُوتَهُ عَلَىٰ شَفَا جُرْفٍ هَارٍ فَأَنْهَارُ بِهِ فِي نَارٍ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ (التوبة، 109).

لقد اشتملت هذه الآية الكريمة على لفظ "بنيان" وهي تتحدث عن مسجد الضرار الذي بناه المنافقون في المدينة، فكان التوجيه الرباني بأن من يؤسس بنيانه على تقوى الله خير ممن يؤسس على شفا جرف هار فانهار به في نار جهنم<sup>(2)</sup>، إذن فقد يُقصد من البنيان في الآية الكريمة البناء الحقيقي، وقد يقصد منه البناء المعنوي.

ويقول سبحانه وتعالى: ﴿ لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ (التوبة، 110).

واللفظ هاهنا أيضاً "بنيان" عائد على بناء مسجد الضرار الذي بناه المنافقون، إذ يبين سبحانه أن هذا البناء سيبقى ريبة وحزازة في نفوس المنافقين حتى تنقطع قلوبهم عليه<sup>(3)</sup>.

وقال سبحانه في موضع آخر: ﴿ قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَآتَى اللَّهُ بُيُوتَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَأَتَنَّهُمُ الْعَدَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ (النحل، 26).

<sup>1</sup> الفاروقي، محمد بن علي (ت: 1158هـ). كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، تقديم وإشراف ومراجعة: رفيق العجم، تحقيق: علي دحروج، ترجمة النص الفارسي: عبد الله الخالدي، الترجمة الأجنبية: جورج زيناني، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت. لبنان، الطبعة الأولى، 1996م، ج: 1، ص: 344 . 345.

<sup>2</sup> البغوي. معالم التنزيل، ج: 2، ص: 390.

<sup>3</sup> ابن عطية. المحرر الوجيز، ج: 3، ص: 86.

ولقد اشتملت هذه الآية الكريمة أيضاً على لفظ "البنيان"، ولقد بين سبحانه وتعالى أنه حين عذب أهل بابل دمر بنيانهم من أساسه، وحطم قواعده، حتى خرت عليهم أسقف البيوت والمنازل<sup>(1)</sup>.

وقال سبحانه في موضع آخر: ﴿وَكَذَلِكَ أَعْتَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّهُمْ وَعَدَّ اللَّهُ حَقًّا وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَزَّعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِم بُيُوتًا رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ﴿٢١﴾﴾ (الكهف، 21).

لقد اشتملت هذه الآية الكريمة على لفظين من جذر البنيان: "ابنوا" وبنياناً، فهذا كلام الناس حين وجدوا أهل الكهف أرادوا أن يبنوا عليهم بنياناً كي يحفظوا تربتهم ومكانهم فلا يصل إليه الناس، فقال أهل الملك والحكم فيهم لنجعلن عليهم مسجداً<sup>(2)</sup>. ويقول سبحانه أيضاً على لسان فرعون: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَهْمَنُ ابْنُ لِي صِرْحًا لَعَلَّيْ أَبْلُغَ الْأَسْبَابَ ﴿٣٦﴾﴾ (غافر، 36).

ورد في هذه الآية الكريمة أيضاً لفظ مشتق من البنيان، وهو قوله: "ابن"، وهو أمر من فرعون لوزيره هامان كي يصنع له صرحاً، وهو القصر، وأمره بالبناء لا بالتشييد أو ما شاكل ذلك، وكان قصد فرعون عليه لعنة الله أن يجعل هذا الصرح مكاناً يطلع منه إلى السماوات فيطلع إلى الله الواحد القهار، أو كما قال هو: فيطلع إلى إله موسى . عليه السلام .<sup>(3)</sup>

وفي موضع آخر يقول سبحانه وتعالى: ﴿قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُيُوتًا فَأَلْفُوهُ فِي الْجَحِيمِ ﴿١٧﴾﴾ (الصافات، 97).

واشتملت هذه الآية على لفظ "البنيان" والمقصود به ذلك البناء الذي شيده قوم سيدنا إبراهيم كي يلقوه من خلاله في النار<sup>(4)</sup>.

<sup>1</sup>. الثعلبي. الكشف والبيان، ج: 6، ص: 14.

<sup>2</sup>. النسفي، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود (ت: 710هـ). مدارك التنزيل وحقائق التأويل، حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي، راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو، دار الكلم الطيب، بيروت. لبنان، الطبعة الأولى، 1998م، ج: 2، ص: 293.

<sup>3</sup>. السمعاني. تفسير القرآن، ج: 5، ص: 20.

<sup>4</sup>. الماوردي. النكت والعيون، ج: 5، ص: 58.

وفي موضع آخر يقول سبحانه وتعالى أيضاً: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقْتَلُونَ فِي سَبِيلِهِ  
صَفًا كَانَتْهُمْ بُنْيَانٌ مَرْمُوضٌ﴾ (الصف، 4).

لقد ورد لفظ "البنيان" أيضاً في هذه الآية كما نرى، ولقد شبه سبحانه وتعالى اجتماع  
المسلمين في حال قتالهم كالبناء المرصوص، أي: الذي يشد بعضه بعضاً، ويعضد  
بعضه بعضاً.

### 3.4.1 الفرق بين العمران والبنيان

ومن خلال ما سبق كله سيقوم الباحث فيما يلي بإيراد الفروقات التي اتضحت له  
بين العمران والبنيان، وذلك كما يلي:

أولاً: يأتي العمران في كتاب الله سبحانه وتعالى في الجوانب الإيجابية، وهي عمارة  
الأرض، وتحقيق مبدأ الاستخلاف فيها، وإقامة شرعه سبحانه وتعالى،  
وإيجاد العدالة بين الناس، وزراعة الأرض، وإجراء الأنهار، إلى غير ذلك  
من ملامح الخير في الأرض، في حين أن البنيان قد لا يختص بالنواحي  
الإيجابية، فقد ورد في كتاب الله تعالى في موضع ذم، كالمسجد الضرار،  
وبنيان فرعون، وغيرهما.

ثانياً: يرتبط العمران بأكثر من ناحية، فمن ناحية هو يتعلق بعمارة الأرض بالزراعة  
والصناعة وغيرها، ومن ناحية أخرى فهو متعلق ببناء البيوت والصروح  
وغ غيرها من مظاهر العمران، ومن ناحية ثالثة فهو متعلق بإقامة العدالة  
وسيادة الدين، علاوة على تعلقه بالجوانب الاقتصادية، والسياسية،  
والاجتماعية، والعسكرية، والثقافية، وغيرها على ما سنبين في الفصل  
القادم، في حين أن البنيان لا يتعلق بكل هذه الأمور، وإنما يكثر مجيئه  
لمعنى البناء المادي المتمثل بتشديد المباني والصروح، ويقل مجيئه  
بالمعنى المعنوي المتعلق بنواحي توطيد الصلوات الإيمانية.

ثالثاً: يكثر مجيء العمران ومشتقاته في كتاب الله تعالى، في حين أن لفظ البنيان  
ومشتقاته يقل ورودها في كتاب الله تعالى مقارنة بلفظ العمران ومشتقاته.

رابعاً: يكثر مجيء لفظ البنيان ومشتقاته مرتبط بالقصص القرآني كما أشرنا من قبل، في حين أن ذلك لا نجده في لفظ العمران ومشتقاته، إذ يرد في القصص القرآني وفي غيرها.

خامساً: يأتي العمران في كتاب الله سبحانه وتعالى بأكثر من مشتق، فقد رأينا أنه جاء بألفاظ: العمر، واستعمر، وعُمِّر، ويُعَمَّر، وعمارة، في حين أن لفظ البنيان يكثر مجيئه بهذا اللفظ فحسب، ويقل مجيئه بألفاظ أخرى مشتقة منه، مثل: ابن، في كلام فرعون لعنه الله لوزيره هامان.

## الفصل الثاني

### مجالات العمران في القرآن الكريم

كما أوضحنا في الفصل الأول فإن العمران لا يقتصر على حال دون آخر، أو يقتصر على الجوانب المادية دون غيرها من الجوانب المعنوية التي لها أثرها في قيام الدول، ونماء الحياة بين الناس؛ لذا فإنه يمكننا أن نفهم من خلال الفصل السابق أن العمران يتعلق بكل ما فيه استخلاف الإنسان في الأرض، ويتعلق بكل ناحية يمكن من خلالها إعمار هذا الكون.

وعليه فإن هذا الفصل سيتعرض لأبرز أشكال العمران الذي يتحقق من خلاله مبدأ الاستخلاف في الأرض، كما يتحقق من خلاله نمو البشر وتطور الدول، سواء أكان هذا المظهر الإعماري سياسي، أم اقتصادي، أم عسكري، أم ثقافي، أم غير ذلك من أشكال الإعمار كما وردت وفق توجيهات القرآن الكريم.

### 1.2 العمران المادي

إن هذا النمط من أنماط العمران يمثل الحالة المادية المحسوسة الملموسة التي يمكن أن يراها الإنسان رأي العين، كبناء البيوت مثلاً، أو تشييد الصروح، وغيرها، فإن هذا العمران يأخذ طابع الظهور والبروز أمام الناس، ويمكن تحديده ومعرفة أبعاده، ومن هنا فهو المنطلق المادي للعمران ككل؛ لأن بقية أشكال العمران الأخرى وأنماطه إنما شُبِّهت بهذا العمران.

### 1.1.2 مفهوم العمران المادي

ويقصد بالعمران البناء، وهو وضع شيء على شيء على صفة يراد منها الثبوت والديمومة، كما يفعل البناؤون من وضع الحجارة على بعضها بعضاً على صورة يُقصد منها البقاء والثبوت في المكان والديمومة<sup>(1)</sup>.

<sup>1</sup>. الكفوي. الكليات، ص: 241.

فما يقصده الباحث في هذا المبحث من العمران المادي هو ذلك المظهر المادي الملموس القائم على أساس وضع الحجارة والطين على بعضها بعضاً حتى تصير بناءً، وهذا الوضع للحجارة والطين يكون على أساس من الثبوت والديمومة والبقاء، وليس على أساس من التغير والتحول والانتقال.

وهذا المظهر من مظاهر العمران يرد في كتاب الله تعالى في غير موضع، لكن ما جاء في كتاب الله تعالى من حديث عن العمران لا يتوقف فقط عند حدود الناحية المادية فحسب، بل إنه سبحانه وتعالى قد ربط هذا العمران المادي بأشكال معنوية أخرى، فتحدث مثلاً عن بناء المساجد لأجل العبادة، وتحدث عن بناء الجدار من أجل صون الحقوق في قصة الغلامين اليتيمين، وتحدث عن مسجد ضرار بالنسبة للمنافقين، وهكذا فإن الحديث القرآني عن أشكال العمران المادية المتعددة لا يتوقف عند حدود المادة فحسب، بل تتعداها إلى بعض الملامح المعنوية الأخرى، وهذا المبحث سيسلط الضوء على أبرز هذه الملامح المادية وما يتعلق بها من الجوانب المعنوية.

امتن الله تعالى على عباده أن مكنهم من هذا العمران لما فيه من راحة أبدانهم ونفوسهم، وعدّه من نعمه عليهم التي تستوجب شكره وعبادته، كما حثّ القرآن الكريم على البناء الذي ينفع الناس، الذي يكون سبباً في الاجتماع حوله، أو الإيواء إليه، وما يترتب عليه من راحة وطمأنينة وسكينة، ونهى عما يكون منه من مباهاة وتكبر وتناول، أو ما كان القصد منه الإذلال والإضرار بالآخرين.

## 2.1.2 بناء إبراهيم عليه السلام للبيت الحرام

يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾﴾ (البقرة، 127).

إن هذه الآية الكريمة تتحدث عن واحد من أهم النماذج العمرانية في هذا الكون، ألا وهو البيت الحرام، فقد أمر الله سبحانه وتعالى سيدنا إبراهيم . عليه السلام . ببناء البيت الحرام، ثم إن إبراهيم قال لابنه إسماعيل . عليه السلام . : إن ربي أمرني بأمر، فقال له إسماعيل فأطع ما أمر ربك، قال: وتعيني عليه، قال: وأعينك، فقال: إنه أمرني

بأن أُنبي له بيتاً هاهنا، فقام إبراهيم ليرفع القواعد، وأخذ إسماعيل بدعاء الله سبحانه وتعالى بأن يتقبل منهم هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، ويدعوه أيضاً بأن يجعلهما مسلمين لله، فهو العليم بما في نفوسهم، السميع لما يقولون ويدعون<sup>(1)</sup>.

ولقد تكلم بعض المفسرين عن معنى مستخلص من قوله: "يرفع القواعد"، فقالوا: إن هذا البيت تُرفع فيه الحوائج إلى الله تعالى، وقيل: يرتفع قدره ومكانه عن الأنجاس<sup>(2)</sup>. والآية الكريمة صريحة الدلالة على المعاني الحسية للبناء، فقد وصف سبحانه وتعالى عمل إبراهيم . عليه السلام . بأنه يرفع القواعد من هذا البيت، أي بينها، والقواعد جمع قاعدة، وهي الأساس الذي يُجعل للبناء ثم إن حجارة البناء ترتفع على هذا الأساس، وقيل إن إبراهيم قد بنى على الأساس ولم يرفع القواعد؛ لأن القواعد موجودة، وإنما القصد ما رفعه من صفوف الحجارة؛ لأن الصف السابق يكون قاعدة للصف الذي قبله، ولقد عاون إسماعيل . عليه السلام . إبراهيم . عليه السلام . في بناء هذا البيت الحرام، إذ كان إبراهيم يبني، وإسماعيل يناوله الحجارة، حتى اكتمل البناء بإذن الله تعالى<sup>(3)</sup>.

إن هذا الصرح العمراني يمثل بيتاً من بيوت الله تعالى في الأرض، بل إنه أول بيت وُضع للناس في هذه الأرض، يقول سبحانه وتعالى مؤيداً ذلك: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾﴾ (آل عمران، 96)، فهذه الآية الكريمة تشير صراحة إلى أن أول بيت وضعه سبحانه وتعالى في الأرض هو البيت الحرام.

وهذا البناء العمراني المادي جعله الله سبحانه وتعالى مكاناً لعبادته، ولزوم طاعته، يقول في ذلك: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴿١٢٥﴾﴾ (البقرة، 125).

فقد أوحى الله سبحانه وتعالى إلى إبراهيم ببناء البيت العتيق، وكان الهدف من هذا البيت ظاهراً في هذه الآية الكريمة، فهو: أولاً: مرجعاً للناس يرجعون إليه مرة بعد مرة، أو هم يرجعون بحال مختلفة بعد الذهاب إليه، ثانياً: مجتمعاً لهم يجتمعون فيه، ثالثاً:

1. الواحدي. الوسيط في تفسير القرآن المجيد، ج: 1، ص: 210 . 211.

2. الكرمانى. غرائب التفسير وعجائب التأويل، ج: 2، ص: 799.

3. الزمخشري. الكشاف، ج: 1، ص: 187.

مكاناً آمناً، لا يجوز القتال فيه، ولا تُقام العقوبة على الجناة ما داموا فيه، فهو إذن مكان آمن، رابعاً: موضع للصلاة، فقد أجاز الله سبحانه وتعالى اتخاذ مقام إبراهيم صلى على يصلي الناس فيه، خامساً: موضعاً طاهراً لسائر العبادات والطاعات التي يتقرب بها العبد إلى الله سبحانه وتعالى، سواء بالاعتكاف، أو بالصلاة ركوعاً وسجوداً<sup>(1)</sup>.

وهذا البيت الحرام إنما هو الكعبة المشرفة، ولقد سُمي بيتاً باسمها على أساس إطلاق الجزء وإرادة الكل، وهو موضع الأمن، وموضع العودة والرجوع إليه مرة بعد مرة حجاً وعمرة، ولقد قال عمر بن الخطاب . رضي الله عنه . للرسول الكريم . صلى الله عليه وسلم . بعد أن أراه مقام إبراهيم: أفلا اتخذته صلى يا رسول الله؟ فقال الرسول . صلى الله عليه وسلم .: لم أوامر بذلك، فلم تغب الشمس حتى نزلت هذه الآية، ولقد أمر الله سبحانه وتعالى إبراهيم وإسماعيل بأن يطهرا البيت من سائر الأوثار والخبائث التي قد تكون فيه، وأن يجعلاه خالصاً لعبادة الله تعالى من طواف واعتكاف وصلاة<sup>(2)</sup>.

وكما نرى فقد ذكرت آيات القرآن الكريم هذا البيت الحرام، وهو قبل كل شيء عبارة عن عمران مادي مكون من حجارة وطين، غير أن القرآن الكريم ذكره لعلو شأنه، وللمكانة العظيمة له بين سائر بيوت الله تعالى، وبيّن سبحانه أن هذا العمران كان لغاية متمثلة بالعبادات التي تحصل فيه: صلاة، واعتكاف، وطواف، إضافة إلى أنه مكان لاجتماع الناس، وموضع أمن لا يخاف فيه الجناة، كل هذا يظهر لنا من خلال نصوص الآيات القرآنية الكريمة، وهو ما يعزز ما ذهب إليه الباحث بأن الحديث عن العمران المادي في كتاب الله تعالى لا يكون إلا إذا كان ذلك العمران عوناً لأمر ما، كهذا البيت عون لطاعة الله، ومكاناً لأداء عدد من العبادات التي لا تؤدي إلا فيه وحده وهي الطواف.

<sup>1</sup>. الماوردي. النكت والعيون، ج: 1، ص: 186 . 187.

<sup>2</sup>. النسفي. مدارك التنزيل، ج: 1، ص: 128 . 129.



### 3.1.2 بناء المساجد لله، وموقف الإسلام من مسجد ضرار

يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنِ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَن يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ﴿١٨﴾﴾ (التوبة، 18).

تبين هذه الآية الكريمة صفة عمران المساجد، وذلك من خلال إقامة الصلاة فيها، والإيمان بأن الله سبحانه وتعالى هو المستحق وحده للعبادة، وأنه رب العالمين، وهذه المساجد أيضاً تشتمل على الأعمال الصالحة، ومن هنا فإنه سبحانه وتعالى أعد لعمّار المساجد أجراً عظيماً<sup>(1)</sup>.

فعمارة المسجد لا تكون من خلال البناء والتشييد، وإنما تكون من خلال العبادة التي تُقام في هذه المساجد، لذا فإنه سبحانه وتعالى وصف تلك الأفعال التي يقوم بها المشركون في المسجد الحرام بأنها ليست من إعمار هذا المسجد، وإنما إعمار المساجد لا يكون إلا من إنسان مؤمن صادق في إيمانه، مخلص في خشيته لله سبحانه وتعالى، يستعمل المسجد من أجل إقامة الصلاة وعمل الصالحات، فهذا هو إعمار المساجد حقاً<sup>(2)</sup>.

وهذه الآية الكريمة تشير إشارة واضحة صريحة إلى أن إعمار المساجد لا يكون إلا من أصحاب الإيمان، أما المشركون والكفار فلا يكون منهم إعمار لتلك المساجد إياً كانت أعمالهم، ومن ناحية أخرى فإن هذه الآية يستدل بها على أنه يمكن الشهادة لمن يرتاد المساجد بأنه مؤمن، وهذا مألوف عن بعض السلف؛ لأن ارتياد المساجد وتعودها دليل على أن هذا الإنسان يعمر المسجد، وعمارة المسجد من صفات أهل الإيمان، ومن هنا جازت الشهادة لمن يرتاد المساجد بأنه صاحب إيمان<sup>(3)</sup>.

ومن خلال ما سبق يتبين لنا كيف أن عمارة المساجد لا تكون بالناحية المادية التشييدية، وإنما عمارة المساجد تتعمق أكثر من ذلك في نفوس المسلمين، حتى إنها تصل حدّاً معنوياً متمثلاً في إحياء هذه المساجد بالطاعات والعبادات والقربات؛ لأن

1. الثعلبي. الكشف والبيان، ج: 5، ص: 19.

2. البغوي. معالم التنزيل، ج: 2، ص: 323 . 324.

3. القرطبي. الجامع لأحكام القرآن، ج: 8، ص: 90.

هذه الأعمال جميعها تؤدي في نهاية المطاف إلى عمارة المسجد، وإبقائه ذا رونق عمراني مختلف عن سواه من الصروح والمباني الأخرى، فعمارة المسجد إذن تشتمل على ناحيتين: الأولى: مادية، وهي عبارة عن تشييد البناء وإقامته، والثانية: وهي عبارة عن ممارسة شعائر الدين في هذا المسجد بالصلاة والأعمال الصالحة، والاعتكاف وغيرها.

غير أن القرآن الكريم وقف من بعض هذه المساجد موقفاً مختلفاً، وذلك ما كان من مسجد ضرار، يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَالَّذِينَ أَخَذُوا مَسْجِدًا ضَرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ (التوبة، 107).

لم يكن هذا المسجد كغيره من المساجد التي كان يقصد منها عبادة الله سبحانه وتعالى، والقيام بالأعمال الصالحة ضمن هذا المسجد، بل كان مسجداً للإضرار بين المسلمين، وكان الهدف منه مختلفاً عن هدف بناء المساجد لله، بل كان الهدف منه إقامة الفرقة بين أفراد الجماعة الإسلامية، ومن هنا فإن غاية هذا المسجد لم تكن سليمة كما هو الأصل في إقامة مثل هذه المساجد، فكان الموقف الإلهي واضحاً من هذا العمران المفرق بين المسلمين، إذ أمر نبيه الكريم بألا يقوم فيه أبداً<sup>(1)</sup>.

لقد كان المسلمون يصلون جميعاً في مسجد قباة، فأراد هؤلاء المنافقون أن يفرقوا بين جماعة المسلمين، وأن يحيكوا الدوائر بهم، ظناً من أنفسهم أنهم سيضرون المسلمين بهذا المسجد، غير أن الحكم كان شديداً والقرار كان قاسياً، حين حرق رسول الله . صلى الله عليه وسلم . هذا المسجد، ولقد كان المنافقون يحلفون بالله أنهم أرادوا الإصلاح، وهذا لم يكن صحيحاً من سريرتهم، بل أرادوا الإفساد والتفريق بين المسلمين<sup>(2)</sup>.

وهكذا يتبين لنا كيف أن هذا العمران الذي ذكره الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز قد كان لغاية، وذلك أن عمران المساجد لغاية عبادة الله سبحانه وتعالى وحده، وإقامة الصلاة، أما مسجد ضرار فهو لتفريق المسلمين، وتشتيت جماعتهم، وإضراراً بهم، فكل

<sup>1</sup>. انظر: القشيري. لطائف الإشارات، ج: 2، ص: 61.

<sup>2</sup>. الجوزي. زاد المسير، ج: 2، ص: 297.

هذه الغايات كانت من نفوس المنافقين حين بنوا مسجد الضرار، ومن هنا فإنه يظهر لنا بكل وضوح كيف أن القرآن الكريم لا يذكر من العمران المادي شيئاً إلا لغاية معنوية كما رأينا، والله أعلم.

#### 4.1.2 البناء المادي من أجل صون الحقوق والحفاظ عليها وذلك من خلال قصة الغلامين اليتيمين

يقول الله سبحانه وتعالى في قصة الخضر مع سيدنا موسى . عليه السلام .: ﴿ فَأَنْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطَعْنَا أَهْلَهَا فَبِأَبْوَابٍ مُّكْرَمَةٍ وَفَجَدْنَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَ فَأَقَامَهُ. قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴿٧٧﴾ ﴾ (الكهف، 77)، ويقول سبحانه موضحاً السبب الذي دفع الخضر إلى إقامة الجدار: ﴿ وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِن رَّبِّكَ وَمَا فَعَلْتَهُ. عَن أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٢﴾ ﴾ (الكهف، 82).

بيّنت الآية الكريمة كيف أن بعض ملامح العمران قد تؤدي إلى صيانة واحد من الحقوق التي لا تصان إلا من خلال العمران، فقد ذهب موسى . عليه السلام . والخضر . عليه السلام . إلى قرية كان أهلها لئام، فلم يضيفوهما، ولم يقدموا لهما الطعام، فبينما هما يسيران فيها إذ وجدا جداراً يريد أن يسقط ويقع، والإرادة من الجدار ليست على سبيل الحقيقة، وإنما هي على سبيل المجاز لبيان الحال الذي كانت عليه الجدار، ف جاء الخضر إلى هذا الجدار وأصلحه، فقام، فعلق سيدنا موسى . عليه السلام . على فعل الخضر قائلاً: لو أنك أخذت على هذا العمل أجراً، أو لو أنك ما فعلت هذا العمل حتى يعطوك عليه الأجر والثواب، فقال الخضر له: هذا الكلام هو نهاية ما بيني وبينك من الصحبة، ثم إنه بيّن لموسى . عليه السلام . الغايات التي من أجلها فعل ذلك<sup>(1)</sup>.

لقد كان الخضر . عليه السلام . مطلعاً على بواطن الأمور، وعارفاً بالأسباب الحقيقية التي تكمن وراء ما يفعل، ووراء ما يفعله الآخرون، ومن هنا فقد انطلق في

<sup>1</sup>. الواحدي. الوسيط في تفسير القرآن المجيد، ج: 3، ص: 160.

أفعاله من خلال هذه المعرفة الباطنية التي لم يكن موسى . عليه السلام . عارفاً بها، فلقد قامت المسائل عنده على أساس أنه إذا تعارض عملان أحدهما أخف ضرر من الآخر عُمِلَ بالأخف اتقاءً للأكبر، ففي المسألة ضرران: الأول: المشقة الحاصلة من إقامة الجدار، والثاني: سقوط ذلك الجدار وضياع كنز اليتيمين، فكان الأولى بذلك العمل بالضرر الأقل دفعاً لوقوع الضرر الأكبر<sup>(1)</sup>.

تشتمل هذه القصة على ذكر لواحد من مظاهر العمران المادي، وهو ذلك الجدار الذي أقامه الخضر عليه السلام، إذ كان جداراً يوشك أن يقع وقوعاً سريعاً، وهو المعنى المستفاد من قوله: ينقض، فالانقضاء يدل على سرعة السقوط، ومنه انقضاء الكوكب أو النجم، وهذا الجدار ربما كان ذا نفع ينتفع به الناس لعظمه أو لطوله أو لارتفاعه، وما يدل على ذلك أن موسى - عليه السلام - اعترض وقال: لو شئت لاتخذت عليه أجراً، إذ إن الواقع أن اتخاذ الأجر لا يكون إلا بما ينتفع الناس به، فلما أحسّ موسى - عليه السلام - بانتفاع الناس بهذا الجدار اعترض وبين أن الخضر يمكن له أن يأخذ الأجر على إقامة هذا الجدار، غير أن ذلك لم يكن من الخضر، فهو يعلم من الله ما لا يعلمه موسى - عليه السلام - لذا كان هذا الموقف آخر موقف صحب فيه الخضر موسى - عليه السلام - حتى افترقا، وبين الخضر لنبي الله موسى - عليه السلام - علّة ما فعله في تلك الصحبة<sup>(2)</sup>.

فالجدار بناء مادي مبنيّ من الحجارة والطين، أو من الحصى والطين، غير أن هذا البناء المادي له قيمة معنوية تمثلت في قيامه على كنز لغلامين يتيمين في المدينة، إذ لو وقع هذا البناء المادي لانكشف أمر الكنز، ولضاع على الغلامين، فكان إقامة هذا البناء المادي سبيلاً للحفاظ على هذا الكنز، وصيانة لحق الغلامين اليتيمين في أخذ حقهما من الكنز الذي جعله أبوهما تحت هذا البناء.

<sup>1</sup>. الرازي. مفاتيح الغيب، ج: 21، ص: 490.

. الألوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله (1415هـ). روح المعاني في تفسير القرآن العظيم

والسبع المثاني، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت . لبنان، الطبعة

الأولى، ج: 8، ص: 329 - 330.

ومن خلال ما سبق كله فإنه يمكننا القول بأن هذا العمران أدى إلى غاية صالحة في نفس الخضر . عليه السلام . ألا وهي حفظ كنز الغلامين اليتيمين، ومن ناحية ثانية فإن النص القرآني أورد هذا الحديث عن العمران لأنه كان ذا غاية، ولو أنه لم يكن ذا غاية لربما لم يورده القرآن الكريم، وهو ما رأيناه سابقاً في كافة الآيات التي اشتملت على حديث عن بعض ملامح العمران في هذا الكون.

ويمكن للباحث القول بأن:

أولاً: إذا تعارض ضرران فإن الأولى الأخذ بأقلهما ضرراً، كما هو الحال في قصة الجدار.

ثانياً: إن العمران لا يقتصر على الصروح والمباني، بل إنه يشمل أيضاً الجدران والحيطان وغيرها، إذ لولا هذا البناء . وهو الجدار . لضاع حق الغلامين اليتيمين.

ثالثاً: الأصل في الإنسان أن يعمل على الإعمار دون أن يطلب منه ذلك إذا كان قادراً عليه، كما هو الحال عند الخضر، فلم يطلب منه أحد أن يقيم ذلك الجدار، غير أنه أقامه لمعرفته بأن هذا الجدار يؤدي إلى مصلحة أخرى ألا وهي الحفاظ على كنز اليتيمين.

## 5.1.2 نماذج

### بناء صرح فرعون لعنه الله من أجل الرقي إلى السماء:

يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَنْهَكُنْ أَبْنِيَّ صَرَخًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَذِبًا وَكَذَلِكَ زُينَ لِفِرْعَوْنَ سُوءَ عَمَلِهِ وَصَدَّ عَنِ السَّبِيلِ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ ﴿٣٧﴾ ﴾ (غافر، 36 . 37).

وكما أن العمران يكون في الخير، فإنه يكون في الشر والتجبر أيضاً، فهذا فرعون يأمر وزيره هامان بأن يجمع له الرجال، والعدة والعتاد من أجل بناء صرح كبير عالٍ، حتى يصل إلى أبواب السماوات فينظر فيها، فيرى إله موسى . عليه السلام . ثم إنه

عقب على ذلك بأنه يظن أن موسى . عليه السلام . كاذب في ادعائه بأن هناك إله في السماء، وما هذا إلا من قبيل الغباء والسفه من فرعون لعنه الله سبحانه وتعالى (1).

إن فرعون حين ظهر ضعفه أمام موسى . عليه السلام . وبان ما فيه من خلل أمام دعوة الحق التي جاء بها موسى . عليه السلام . أراد أن يعوض ما فاتته من هذه الخسارة، ويحاول مراجعة أموره كي يحصل على شيء من المكاسب أمام ما حصل عليه موسى . عليه السلام . فنادى وزيره هامان، وطلب منه أن يبني له صرحاً عالياً، وبنينا شامخاً يصل حداً بعيداً لعله يصل إذا صعد على هذا البناء إلى السماء، فينظر ويطلع إلى الله، ثم إنه استدرك استدراكة قلقة حين قال: إله موسى، فهذا يعني أنه يقر بوجود إله موسى . عليه السلام . فقال: واني لأظنه كاذباً، وهكذا كان فرعون ضالاً بما فكر به من بناء هذا الصرح العظيم الشامخ، وقيل إن هامان بناه فعلاً (2).

ومن خلال نص القصة السابقة يمكننا أن نتبين أن الغاية من الصرح الذي بناه فرعون متمثلة في الوصول إلى السماء، وذلك من أجل الاطلاع على رب العالمين، وما هي إلا غاية دالة على ضيق نظر فرعون عليه لعنة الله، وقلة ما لديه من حيلة. ومن ناحية ثانية فإن الغاية التي كانت وراء إيراد الله سبحانه وتعالى لقصة هذا الصرح بيان أن فرعون قد علا وتجبر في الأرض، حتى إنه دفعه استعلاؤه وتجبره إلى التفكير بأشياء قد لا يقبلها العقل البشري السوي السليم، وهي أن يصعد إلى أبواب السماء فيطلع إلى إله موسى . عليه السلام . ويتبين حقيقة أمره، وهذه الغاية الإلهية التي أورد لأجلها هذا العمران الذي بناه فرعون، وهي غاية يقصد منها إظهار ضعف فرعون، وقلة حيلته، واستخفاف عقله، والله أعلم.

### عرش بلقيس وقصر سليمان عليه السلام:

ويمثل عرش بلقيس وقصر سليمان عليه السلام نموذجاً من نماذج العمران المادي التي ذكرها القرآن الكريم، إذ يقول سبحانه وتعالى: ﴿ قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِيهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴾ (38) قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا ءَانِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ ﴿٣٩﴾ قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا ءَانِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رآه مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن

1. السمعاني. تفسير القرآن، ج: 5، ص: 21.

2. ابن عطية. المحرر الوجيز، ج: 4، ص: 560.

شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّيَ غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾ قَالَ نَكَرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنظُرُ أَتَنهَدِي ۖ أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٤١﴾ فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكَ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ﴿٤٢﴾ وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِن دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمِ كَافِرِينَ ﴿٤٣﴾ قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقِيهَا قَالَتْ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ ۖ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٤﴾ ﴿النمل، 38﴾ . (44).

تتناول هذه الآيات الكريمة حديثاً عن ملامحين عمرانيين، الأول: عرش بلقيس، والثاني: قصر سليمان، ولقد استطاع سليمان . عليه السلام . أن يأتي بعرش بلقيس قبل أن يصلوا إليه وذلك من أجل اختبار عقلها هل تستطيع معرفة عرشها أم لا؟ وقيل إن الذي أتى بعرش بلقيس رجل من البشر يعرف اسم الله الأعظم الذي إن سئل به أعطى، وإن دُعي به أجاب<sup>(1)</sup>.

ثم إن سليمان أراد أن يبين لبلقيس عظم ملكه، وفضل الله سبحانه وتعالى عليه، فأمر الجن والشياطين بأن يبنوا له صرحاً عظيماً، وجعل في صحنه ماء، ثم إنه غطى ذلك الماء بقوارير ممردة من الزجاج، ثم ألقى في ذلك الماء من كل أصناف حيوانات البحر، فإذا رآه الناظر من بعيد حسبه لجة، ثم إنه وضع عرشه في وسطه، ودعا بلقيس إليه، فقيل لها: ادخلي الصرح، فلما أرادت دخوله ظنت أنه ماء، فرفعت ثيابها وكشفت عن ساقها، وقال: إنه صرح ممرد من قوارير، فلما عرفت بلقيس ذلك علمت أن هذا الملك الذي لسليمان لا يكون إلا من الله سبحانه وتعالى، فأسلمت من فورها<sup>(2)</sup>. ولقد أشار الباحث من قبل إلى أن أي عمران مادي يرد في كتاب الله تعالى فإنه يكون لسبب ما، ولغاية محددة، ولا يذكره سبحانه وتعالى ذكراً دون غاية أو هدف، والهدف من ذكر العرش والصرح ما يلي:

أولاً: ذكر الله سبحانه وتعالى عرش بلقيس ليبين الهدف الذي أراده سليمان من اختبار عقل بلقيس، وتبين حالها من الفهم والوعي، فكان هذا هدف سليمان، وكان هدف القرآن الكريم توضيح الفكرة التي كان يريد بها سليمان.

1. الثعلبي. الكشف والبيان، ج: 7، ص: 209 . 211.

2. البغوي. معالم التنزيل، ج: 3، ص: 507.

ثانياً: ذكر سبحانه وتعالى الصرح الذي بناه سليمان ليبين ارتباطه الوثيق بالقصة القرآنية أولاً، وليبين للناس ضخامة ملك سليمان وقدرته على استعمال الجن والشياطين، وبيان عظمتة التي أعطاها إياه الله رب العالمين. ومن خلال ما سبق كله يمكننا القول بأن الحديث القرآني عن العمران المادي يرتكز على الأمور الآتية:

أولاً: يذكر سبحانه وتعالى بعض الملامح العمرانية المادية لغايات معنوية ولأهداف معينة من خلال النص القرآني، كالمساجد لغاية العبادة، وصرح فرعون لغاية تحدي موسى، والكعبة المشرفة لغاية اجتماع البشر فيها، وللصلاة والعبادة والطواف والاعتكاف.

ثانياً: إن أكثر المواضع القرآنية التي اشتملت على حديث عن بعض ملامح العمران المادي كانت ضمن إطار قصة قرآنية، فهذا المسجد الحرام ضمن قصة بنائه لسيدنا إبراهيم وإسماعيل، وهذه المساجد ضمن قصة مسجد ضرار وموقف المنافقين، وهذا صرح فرعون ضمن قصة موسى . عليه السلام . وهذا جدار الغلامين ضمن قصة الخضر عليه السلام، وهذا صرح سليمان وعرش بلقيس ضمن قصة سليمان مع أهل سبأ.

## 2.2 العمران السياسي وسبل تحقيقه

ويتطرق الباحث ضمن هذا المبحث للحديث عن دور القرآن الكريم في توجيه العمران السياسي، كما يبين الباحث ضمن هذا المبحث أيضاً أبرز المبادئ السياسية وأهمها التي وضعها الإسلام من أجل الوصول إلى نماء سياسي ضمن الدولة الإسلامية، أو حتى ضمن مجموعات الدول البشرية، وذلك من أجل تحقيق هذا العمران.



## 1.2.2 مفهوم العمران السياسي

إن البناء السياسي من أبرز الميادين العمرانية التي يمكن للباحث أن يتحدث عنها في هذا الفصل؛ لما لهذا الميدان العمراني من أهمية في استقرار الدول، وتطورها، وقيامها وفق أسس ثابتة راسخة تؤدي بها إلى النهوض والتطور.

والبناء السياسي يعتمد اعتماداً كبيراً على وضوح المنهج السياسي، فإن العمل ضمن أطر محددة واضحة يخلق الثقة بين النظام السياسي القائم في الدولة وبين الرعية، كما يوجد القناعة، ويُدعم أسس قواعد الاستقرار الحسي والمعنوي لدى المواطن، والعكس تماماً، فإن غموض المنهج، والتخبط في العمل، وعدم الاستقرار في المسيرة السياسية للدولة يؤدي إلى زعزعة الثقة بين أفرادها، وظهور التحيزات والجماعات السياسية التي تؤدي إلى دغدغة مشاعر المواطنين، ومحاولة اجتذابهم إلى أفكارها، مما قد يؤدي في نهاية المطاف إلى خلق صدامات بين المواطنين والقيادة السياسية، علاوة على تقويض هذا البناء السياسي داخل الدولة<sup>(1)</sup>.

إن هذا البناء السياسي يمثل ركيزة مهمة في البناء الحضاري للإنسان في كافة مراحل حياته، وكافة أشكال تلك الحياة، فالبناء السياسي ركن مهم في استقرار ذلك الإنسان ونمو حياته<sup>(2)</sup>.

ومن هنا فإن مفهوم العمران السياسي يتمثل بتلك الضوابط والأسس التي يمكن للدول السير وفقها من أجل ضمان استمرار الاستقرار السياسي فيها، وذلك المنهج المحدد الواضح في المسيرة السياسية، ومجموعة القواعد الأساسية التي يسير عليها النظام السياسي في دولة ما، علاوة على ذلك كله فهو متعلق باستقرار هذه الأسس جميعها، وذلك من أجل ضمان استقرار الملامح السياسية في الدولة.

أما ضمن هذه الدراسة فإن العمران السياسي يتعلق بأبرز الأسس وأهم القواعد التي وضعها الشرع الإسلامي الكريم، وحددها القرآن العظيم من أجل نمو سياسي رفيع،

---

<sup>1</sup>. المطرودي، عبد الرحمن. نظرة في مفهوم الإرهاب والموقف منه في الإسلام، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، الرياض. السعودية، ص: 26.

<sup>2</sup>. السمالوطي، نبيل. بناء المجتمع الإسلامي، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان. الأردن، الطبعة الثالثة، 1418هـ، 1998م، ص: 178.

الأمر الذي يؤدي إلى الاستقرار ضمن هذا الجانب المهم من جوانب الحياة البشرية، كما يتعلق بالمبادئ العامة والخاصة التي يتبناها النظام السياسي الإسلامي من أجل الوصول إلى أهدافه المنشودة.

## 2.2.2 العمران سبيل النهوض السياسي

النهوض والنمو السياسي يتطلب دولة ذات كيان، لها دستورها وقوانينها، ولديها مجموعة من الأسس التي تتبني عليها، ومن ناحية أخرى فإن هذه الدولة لا بد لها من بنيان ظاهر كي تستمر في نهوضها السياسي، وكي يكون البناء السياسي قائماً على أسس مادية جنباً إلى جنب مع أسسه المعنوية.

### قصة يأجوج ومأجوج نموذجاً:

وفيما يلي سيبين الباحث طرفاً من قصة ذي القرنين حين جعل البناء المادي سبيلاً للاستقرار السياسي، يقول سبحانه وتعالى: ﴿ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ۗ قَالُوا يَا بَنِي آدَمَ إِنَّا يَا جُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَن نجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ۗ قَالَ مَا مَكْنِي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ نجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ۗ ءَاتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انفُخُوا حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ ءَاتُونِي أُفْرِغَ عَلَيْهِ قَطْرًا ۗ فَمَا اسطَعُوا أَن يظْهَرُوهُ وَمَا اسطَعُوا لَهُ نَجَابًا ۗ ﴾ (الكهف، 93 . 97).

مر ذو القرنين بهؤلاء القوم الذين لا يكادون يفقهون قولاً، فما كان منه إلا أن خاطبهم من خلال المترجمين الذين كانوا بينهما، فبينوا له أن يأجوج ومأجوج مفسدون في الأرض، إذ كانوا يأكلون الأخضر واليابس، وكانوا إذا جاءوا قوماً أكلوا ما يمكن أكله، واحتملوا ما لا يمكن أكله<sup>(1)</sup>.

ثم إن هؤلاء القوم قد بينوا لذي القرنين كيف أن يأجوج ومأجوج يفسدون في الأرض، وطلبوا منه أن يجد لهم حلاً وله أن يعطوه من أموالهم خرجاً كالنوال، ولقد كان هذا القول منهم نتيجة للفساد الكبير الذي خلقه يأجوج ومأجوج فيهم، فهم أناس كثيرون، إذ قيل إنه لا يموت أحدهم حتى ينظر إلى ألف ذكر من صلبه كلهم يحملون السلاح<sup>(2)</sup>.

<sup>1</sup>. الثعلبي. الكشف والبيان، ج: 6، ص: 193 . 194.

<sup>2</sup>. النسفي. مدارك التنزيل، ج: 2، ص: 319 . 320.

وبعد أن عرض هؤلاء القوم الذين لا يفقهون قولاً أمرهم على ذي القرنين، عرضوا عليه أن يؤتوه أجراً في مقابل أن يجد لهم حلاً يخلصهم من يأجوج ومأجوج، فلم يأخذ منهم ذو القرنين أجراً أو خرجاً إلا ما يقيم به أمر هذا السد الذي أراد أن يضربه بينهم وبين يأجوج ومأجوج، فطلب منهم العمال والحديد وما يمكن الاستعانة به كي يقيم بينهم وبين يأجوج ومأجوج سداً حصيناً منيعاً يمنع يأجوج ومأجوج من الوصول إلى هؤلاء القوم، ويوقف ذلك الفساد الذي وقع من يأجوج ومأجوج بالقتل والإهلاك وإفناء الناس والأموال<sup>(1)</sup>.

كان يأجوج ومأجوج يفسدون في الأرض بإهلاك الزرع، وقتل الناس، إلى غير ذلك مما أوضحنا سابقاً، فرأى ذو القرنين أن البناء العالي من السدود يمنع يأجوج ومأجوج من الوصول إلى هؤلاء القوم، ثم إنه يمنعهم من الفساد في الأرض، فطلب إلى القوم أن يأتوه بالقطع الكبيرة من الحديد، ويأتوه بالعمال والفعلة وغيرهم من أجل إعانته على إقامة هذا السد المنيع الذي وصفه سبحانه بأنه الردم، وهو أشد قوة وصلابة من السد، ففعلوا ذلك، وأتوه بكل ما طلب، فجعل هذا البناء المنيع، والسد السميك حاجزاً مانعاً بين الجبلين اللذين كان يأجوج ومأجوج يأتون من قبله إلى هؤلاء الأقوام، فكان سداً عالياً، صلباً، فما استطاع يأجوج ومأجوج أن يصعدوا من فوقه لعلوه وانزلاقه، وما استطاعوا أن يحفروه فيخرجوا بسبب صلابته الشديدة، وما كان هذا البناء إلا رحمة من الله سبحانه وتعالى، ومعجزة آتاها ذي القرنين رحمه الله<sup>(2)</sup>.

علم ذو القرنين أن السبيل إلى استقرار هؤلاء القوم وتخلصهم من فساد يأجوج ومأجوج يتحقق بشيء منيع صلب يمكن من خلاله التخلص من فساد يأجوج ومأجوج، كما يمكن من خلال هذا الشيء الوصول إلى استقرار عام عند هؤلاء الأقوام الذين لا يكادون يفقهون قولاً، فاختر ذو القرنين أن يكون المانع بينهم، والحاجز دونهم سداً منيعاً، وردماً قوياً يكفل لهؤلاء بقاءهم في منأى عن إفساد يأجوج ومأجوج.

<sup>1</sup>. أبو حيان. البحر المحيط، ج: 7، ص: 227.

<sup>2</sup>. الأنجري، أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي الفاسي الصوفي (ت: 1224هـ). البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، تحقيق: أحمد عبد الله القرشي رسلان، الناشر الدكتور حسن عباس زكي، القاهرة. مصر، الطبعة الأولى، 1419هـ، ج: 3، ص: 306 . 307.

### 3.2.2 طاعة أولي الأمر سبيل لتحقيق العمران السياسي

ولكي يقوم العمران السياسي في الدولة المسلمة على أكمل وجه فقد أوجب سبحانه وتعالى على الرعية الإسلامية إطاعة من يتولى أمورهم، وفعل ما يُطلب منهم، يقول سبحانه وتعالى في محكم التنزيل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِن تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾﴾ (النساء، 59).

إن هذه الآية الكريمة تتحدث عن طاعة أولي الأمر في المسلمين، ولقد قرنها الله سبحانه وتعالى بطاعته وطاعة الرسول . صلى الله عليه وسلم . لذا فإن من أطاع الله سبحانه، وأطاع رسوله الكريم يتوجب عليه أن يطيع من يتولى أمر المسلمين<sup>(1)</sup>. وثمة أقوال في بيان من هم أولو الأمر الذين يتوجب على المسلمين طاعتهم، فقيل: هم العلماء والفقهاء الذين يبينون للناس أمور دينهم، فهؤلاء أولى بالطاعة، غير أن على المسلم ألا يطيع أصحاب الهوى منهم، وأصحاب النحل التي لا أصل لها في الإسلام، وقيل هم الأمراء والولاة، والخلفاء، إذ أمرهم سبحانه وتعالى بحمل الأمانة في عبادته، وأمرهم بأن يقيموا العدل بين الناس، ومن هنا فإن على الرعية طاعتهم، غير أنه لا طاعة لأولي الأمر إذا حادوا عن الحق، ومالوا عن العدل، إذ إن الطاعة لهم تكون ما أقاموا دين الله بين العباد، وما داموا على طريق العدل بين الناس، شأنهم في ذلك شأن الخلفاء الراشدين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، فإن هؤلاء على الرعية طاعتهم، وقيل هم أمراء السرايا؛ لأن في طاعتهم ثبات لأمر السرية، وقوة تجتمع إلى قوتهم<sup>(2)</sup>.

وفي سبب نزول هذه الآية الكريمة قولان<sup>(3)</sup>: الأول: أنها نزلت في عبد الله بن حذافة السهمي<sup>(4)</sup> في سرية خرج بها، والثاني: أنها نزلت في عمار بن ياسر أمّن رجلاً في

1. البغوي. معالم التنزيل، ج: 1، ص: 650.

2. الزمخشري. الكشاف، ج: 1، ص: 524.

3. ينظر: الواحدي. أسباب نزول القرآن، ص: 163 - 164.

4. هو عبد الله بن حذافة بن قيس بن عدي بن سعد القرشي السهمي، يُكنى أبا حذافة، أسلم في بداية الدعوة، وهاجر إلى المدينة، انظر ترجمته في: النمري، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد

سرية مع خالد بن الوليد، فتنازعا على هذا الأمان، فنزلت فيهم الآية الكريمة، ولقد ربط سبحانه وتعالى طاعة أولي الأمر بطاعته سبحانه وطاعة رسوله الكريم . صلى الله عليه وسلم . لبيان أهمية هذه الطاعة في استقرار الحياة الإسلامية، وطاعة النبي . صلى الله عليه وسلم . في حياته تتمثل بفعل ما يأمر به، واجتناب ما ينهى عنه، وكذلك الحال في مماته، فطاعته متمثلة في اتباع سنته، وقيل إن المقصود بأولي الأمر في هذه الآية، إما العلماء، أو الأمراء، أو عامة صحابة الرسول الكريم . صلى الله عليه وسلم . أو أبو بكر وعمر رضي الله عنهما<sup>(1)</sup>.

لقد كان الأمر الرباني الصريح في هذه الآية الكريمة متمثلاً في طاعة من يتولى أمر المسلمين من الأمراء وأهل الحل والعقد، لما لهم من آراء حكيمة في مصلحة الأمة، فإذا هم رأوا أن مصلحة الأمة تقتضي فعل أمر ما، أو اتخاذ إجراء ما فإن على الرعية طاعة أولي الأمر هؤلاء، لما في طاعتهم من استقرار للنظام السياسي للأمة الإسلامية، فهذا هو المنهج القرآني في بيان طبيعة الأسس السياسية في بناء المجتمع الإسلامي<sup>(2)</sup>.

إذن فإن طاعة أولي الأمر واجب شرعي على كافة أبناء الأمة المسلمة، غير أن هذه الطاعة ليست مطلقة، بل لها قيود وضوابط، وأهم هذه القيود والضوابط يتمثل في أن طاعة أولي الأمر تجب في حال الأوامر المتماشية مع أوامر الله سبحانه وتعالى، فالأمة الإسلامية منذ زمن الصحابة أجمعت على أنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، ومن هنا فإن طاعة أولي الأمر مرتبطة بطاعة الله سبحانه وتعالى<sup>(3)</sup>.

إن طاعة أولي الأمر تحقق للأمة الإسلامية الأمور الآتية:

---

بن عبد البر (1992م). الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت . لبنان، الطبعة الأولى. ج: 3، ص: 888.

<sup>1</sup>. الجوزي. زاد المسير، ج: 1، ص: 423 . 424.

<sup>2</sup>. رشيد رضا، محمد رشيد بن علي رضا القلموني (ت: 1354هـ). الوحي المحمدي، دار الكتب العلمية، بيروت . لبنان، الطبعة الأولى، 2005م، ص: 198.

<sup>3</sup>. حبنكة، عبد الرحمن بن حسن (ت: 1425هـ). كواشف زيوف، دار القلم، دمشق . سوريا، الطبعة الثانية، 1412هـ، 1991م، ص: 741.

أولاً: استقرار النظام السياسي في كيان الدولة المسلمة، إذ بطاعة أولي الأمر تنتهي النزاعات والخلافات بين طوائف الأمة الإسلامية المتعددة.

ثانياً: تحقق طاعة أولي الأمر البناء السياسي المتين للأمة الإسلامية؛ وذلك لأن ولي الأمر المسلم حين يعلم علماً يقينياً أن شعبه سيطيعه في ما يأمر به فإنه يكون على معرفة ودراية بكيفية تسيير أمور هذه الدولة.

ثالثاً: اطمئنان الرعية المسلمة بأن ولي أمرها لا يفعل من الأمور إلا ما فيه مصلحة الرعية؛ لأن الحاكم المسلم إذا فهم تماماً أن طاعته تجب في حال أن يكون على طريق الحق والعدالة، وأنه إذا حاد عن هذا الطريق فلا طاعة له عند رعيته، فإنه لا يفعل من الأمور إلا ما فيه مصلحة هذه الرعية.

#### 4.2.2 مبدأ الشورى في الإسلام وأثره في نمو العمران السياسي

إن الشورى من أهم مبادئ السياسة الإسلامية، ومن أهم الأسس التي يقوم عليها الحكم في الإسلام، إذ لا بد من هذا المبدأ السياسي المهم في طبيعة البناء السياسي الإسلامي، والشورى بمعنى التشاور، أي: أن تتشاور الأمة الإسلامية مع بعضها بعضاً في أمر طارئ عليها، وبناء على ما ينتج عن الشورى يكون القرار السياسي من الحاكم المسلم<sup>(1)</sup>.

ويرد الحديث عن الشورى في غير موضع من القرآن الكريم، يقول الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز: ﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ (الشورى، 38).

وفي موضع آخر يقول سبحانه أيضاً: ﴿فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ (آل عمران، 159).

إن هذه الشورى التي أمر الله سبحانه وتعالى المسلمين بها من خلال نبيه الكريم - صلى الله عليه وسلم - لها فوائد كثيرة جمة لا تُحصى، نذكر من أهمها الشورى تؤدي

<sup>1</sup>. انظر: الكفوي. الكليات، ص: 541.

إلى الوصول إلى قرار سليم في الحرب أو السلم، فما أقام قوم الشورى بينهم إلا كانت الهداية حليفهم، ومن ناحية أخرى فإن الشورى تؤدي إلى تأليف نفوس المسلمين، وتطبيب لخواطرهم، هذا كله علاوة على ما في الشورى من فضل، وهي مناط التآسي بالنبي الكريم . صلى الله عليه وسلم . والشورى أيضاً أتباع لسنة النبي . صلى الله عليه وسلم . وإتباع بأمره، وسلوك للطريق الذي سلكه في سياسته للأمة المسلمة<sup>(1)</sup>.

والشورى من قواعد الشريعة وعزائم الأحكام، ومن لا يستشير أهل العلم والدين فعزله واجب، هذا ما لا خلاف فيه... وصفة المستشار في الأحكام أن يكون عالماً ديناً، وقل ما يكون ذلك إلا في عاقل، فقد قال الحسن بن أبي الحسن<sup>(2)</sup>: ما كمل دين امرئ لم يكمل عقله، وصفة المستشار في أمور الدنيا أن يكون عاقلاً مجرباً واداً في المستشار، والشورى بركة، وقد جعل عمر بن الخطاب الخلافة - وهي أعظم النوازل - شورى، وقال الحسن: والله ما تشاور قوم بينهم إلا هداهم الله لأفضل ما بحضرتهم، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يشاور أصحابه<sup>(3)</sup>.

وعموماً فإن الشورى تنبني على اختلاف الآراء في أمر من أمور المسلمين، وعلى الحاكم المسلم أن ينظر في هذه الآراء المختلفة، ويرجح أيها أقرب إلى روح الكتاب والسنة، ثم إنه إذا توصل إلى الرأي الأرجح عزم أمره، واتخذ من هذا الرأي سبيلاً إلى إنفاذ الأمر، وإتمام العمل، لأنه عرف بالشورى أي الآراء أقرب إلى الكتاب والسنة<sup>(4)</sup>.

لقد اتضح لنا من خلال ما سبق كيف أن هذه الشورى سبيل إلى الوصول إلى قرار صائب في الدولة الإسلامية، خاصة وأن الحاكم المسلم أو ولي الأمر حين يأخذ بالشورى فإنه يستفتي أهل المعرفة والدراية، وأصحاب العلم والتجربة سواء في أمور

---

<sup>1</sup>. الماوردي. النكت والعيون، ج: 1، ص: 433.

<sup>2</sup>. وهو الحسن بن يسار، من سبي ميسان، اشترته عمه أنس بن مالك رضي الله عنه وأعتقه، نشأ بوادي القرى، وكان فصيحاً بليغاً، وُلِدَ في آخر سنتين من خلافة عمر، ورأى عثمان بن عفان، انظر ترجمته في: ابن سعد، أبو عبد الله محمد (1990م). الطبقات الكبرى، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ج: 7، ص: 114 - 115.

<sup>3</sup>. ابن عطية. المحرر الوجيز، ج: 1، ص: 534.

<sup>4</sup>. القرطبي. الجامع لأحكام القرآن، ج: 4، ص: 252.

الدين أم في أمور الدنيا؛ لأن هذه الشروط يتوجب وجودها في المستشار كي يمنح الرأي الذي يراه قريباً إلى الصواب.

إن الإسلام حين قرر هذا المبدأ السياسي الكبير في بنيانه السياسي سبق القوانين الوضعية بكثير في هذا المنهج ، إذ بها يمكن للدولة أن تضمن سير القرارات وفق ما يراه الشعب مناسباً، فمبدأ الشورى في الإسلام سبيل لتحقيق نظام سياسي مستقر ودائم<sup>(1)</sup>.

## 5.2.2 ضمان استقرار العمران السياسي من خلال العهود والمواثيق

ولم يغفل الإسلام بحال من الأحوال أمر الكيانات السياسية الأخرى التي تحيط بهذا الكيان الإسلامي، كما أنه لم يغفل ذلك الأثر الذي قد تحدثه تلك الكيانات السياسية داخل البناء السياسي الإسلامي، خاصة إذا كانت تلك الكيانات المجاورة للمسلمين أعداء لهم، وتحريك بهم الدوائر من أجل الإضرار بهذا البناء السياسي الإسلامي، ومن هنا فقد شرع الله سبحانه وتعالى العهود والمواثيق لكي يضمن للبناء الإسلامي استقراره وديمومته، إذ يقول سبحانه وتعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهَرُوا عَلَيْكُمْ أَوْ فَتَمَّوْا إِلَيْهِمْ عَاهِدُهُمْ إِلَىٰ مَدِينِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (التوبة، 4).

بيّن الله سبحانه وتعالى في هذه الآية الكريمة أن المشركين الذين بينهم وبين المسلمين عهد فإن على المسلمين إتمام عهدهم إليهم إذا لم يخلوا هم بشروط العهد، فلم ينقصوا من العهد شيئاً، ولم يظاهروا أحداً على المسلمين، وإنما بقوا على عهدهم فإن على المسلمين أن يحترموا هذا العهد، وإن عليهم البقاء معهم على عهدهم حتى تنتضي المدة المحددة بينهم للعهد<sup>(2)</sup>.

فهذه الآية الكريمة وما جاورها من سورة التوبة تبين أن الرسول الكريم . صلى الله عليه وسلم . قد كانت له عهود مع هؤلاء المشركين الذين يمثلون كيانات سياسية مجاورة للكيان السياسي الإسلامي، ولا بد للمسلمين أن يتعاملوا مع هذه الكيانات وفق

<sup>1</sup>. عودة، عبد القادر (ت: 1373هـ). الإسلام بين جهل أبنائه وعجز علمائه، الاتحاد الإسلامي

للمنظمات الطلابية، الطبعة الخامسة، 1405هـ، 1985م، ص: 52.

<sup>2</sup>. الواحدي. الوسيط في تفسير القرآن المجيد، ج: 2، ص: 479.



المعطيات السياسية التي تحتم عليهم البحث عن مصلحة المسلمين، فقد تقتضي المصلحة إيجاد مثل هذه العهود، ولقد بيّن سبحانه وتعالى أن المعاهدين من المشركين يتوجب أن يتوافر فيهم شرطان: الأول: ألا يباشروا المسلمين بالقتال، فإنهم إن فعلوا ذلك فقد نقضوا عهدهم، والثاني: ألا يعينوا أحداً على المسلمين، أو يهيجوا المشاعر نحو قتال المسلمين، فإنهم إن فعلوا ذلك أيضاً فقد نقضوا عهدهم، وهنا لا يعود للعهد قيمة، ويمكن للمسلمين مقاتلتهم، ومن ناحية أخرى فإن المعاهد الذي لم يصنع شيئاً من ذلك فإن على المسلمين أن يتموا إليه عهده، وألا ينقضوه من عهده شيئاً<sup>(1)</sup>.

وتشتمل هذه الآية الكريمة على قاعدة مهمة في التعامل السياسي مع الكيانات السياسية الأخرى المجاورة لدولة الإسلام في مجال العهود والمواثيق، وذلك أن هذه الكيانات ليست سواء في معاملتها للمسلمين، كما أن على المسلمين ألا ينظروا إليها جميعاً على وجه السواء؛ لأن بعض هذه الكيانات السياسية قد تتصف بالصدق والالتزام ببند العهد أو الميثاق، وبعضها قد لا يلتزم، ومن هنا فإن على المسلمين ألا يعاملوا الملتزم كما يُعامل غير الملتزم ببند العهد والميثاق، وهذا يفهم من أمره سبحانه وتعالى بإتمام العهد لمن لم ينقص المسلمين شيئاً من عهدهم، ولم يظاهر أحداً على قتالهم؛ لأن هؤلاء لا يتساوون مع غيرهم من الناقضين لعهودهم<sup>(2)</sup>.

وبهذه القاعدة الشرعية يتبين للمسلم أن ليس كل معاهد مشابه لغيره من المعاهدين، فمنهم من يلتزم بعهده، ومنهم من لا يلتزم بهذا العهد، وبناء على ذلك فإنه يتوجب على المسلمين أن يتخذوا المواقف المناسبة مع مثل هؤلاء المعاهدين؛ لأن هذه المواقف تُبرز شخصية الكيان السياسي الإسلامي أمام سواه من الكيانات الأخرى، فمن غدر فعليه غدره، ومن أوفى فيتوجب على المسلمين الوفاء<sup>(3)</sup>.

---

<sup>1</sup>. انظر: الرازي. مفاتيح الغيب، ج: 15، ص: 527.

<sup>2</sup>. الخازن. لباب التأويل، ج: 2، ص: 336.

<sup>3</sup>. انظر: المطعني، عبد العظيم إبراهيم محمد (ت: 1429هـ). سماحة الإسلام في الدعوة إلى الله والعلاقات الإنسانية منهاجاً وسيرة، مكتبة وهبة، الطبعة الأولى، 1414هـ، 1993م، ص:

ومما سبق يتبين لنا الأهمية الكبيرة التي يوليها الإسلام لهذه العهود والمواثيق بينه وبين الكيانات السياسية الأخرى وخاصة المجاورة له؛ لأن هذه العهود والمواثيق لها دورها المهم في حفظ البناء السياسي الإسلامي مستقراً، محافظاً على حيويته، قادراً على مواجهة جميع العقبات من حوله.

وفي نهاية هذا المبحث يمكننا أن نستنتج ما يلي:

أولاً: يقوم البناء السياسي في الإسلام على عدة دعائم، من أبرزها ما يلي:

أ . الإعدادات المادية للدولة الإسلامية من بناء، وإعمار، وإعداد للأفراد والجيش لكي تؤدي وظيفتها بالصورة الصحيحة.

ب . طاعة أولي الأمر الواجبة على الرعية الإسلامية، وذلك كي يتمكن الحاكم المسلم من أداء وظيفته بالشكل التام في بناء السياسة الإسلامية.

ج . وكما أن الحاكم المسلم له الحق في الطاعة، فإن عليه واجب الشورى، وهي الدعامة الثالثة للعمران السياسي في الإسلام؛ لأن مبدأ الشورى يكفل للدولة المسلمة أن تصل إلى القرار الأصوب من بين مجموعة القرارات التي قد تواجهها.

د . وأخيراً فإن البناء السياسي الإسلامي لا يقتصر على الدولة المسلمة فحسب، بل لا بد من دعامة أخرى تتمثل بالعهود والمواثيق التي يعقدها النظام السياسي المسلم مع سواه من الكيانات السياسية الأخرى من أجل ضمان ديمومة الاستقرار السياسي في هذا النظام المسلم.

ثانياً: استطاع العمران السياسي الإسلامي إدخال جميع أطراف المجتمع المسلم في إنجاز هذا البناء، بدءاً من الفرد، مروراً بالجماعة، وانتهاءً بالمجتمع المسلم ككل، إذ أعطى كل طرف من هذه الأطراف دورها الصحيح في إنجاز هذا البناء السياسي الإسلامي.

### 3.2 العمران الاقتصادي في ضوء القرآن الكريم

لم يغفل القرآن الكريم الحديث عن الجوانب الاقتصادية التي من شأنها أن تبني مجتمعاً إسلامياً متيناً في عمرانه الاقتصادي، قادراً على مواجهة جميع التحديات التي

قد تقف في طريقه، ومن هنا فإن هذا المبحث سيسلط الحديث على أهم الركائز التي وضعها الشرع الكريم من خلال نصوص القرآن العظيم في بناء المجتمع اقتصادياً، وتطوير العمران الاقتصادي في هذا المجتمع الإسلامي الكبير.

### 1.3.2 مفهوم العمران الاقتصادي

يرتبط العمران الاقتصادي بعدد من المحددات، فأول هذه المحددات ذلك العنصر البشري القادر على التخطيط لهذا العمران، والقادر أيضاً على الوصول إلى النتائج المرضية فيه، إذ لا بد من العامل البشري من أجل قيام بناء اقتصادي متين قادر على مواجهة التحديات، إذ إن هذا العامل هو الذي يحدد طبيعة التكوين البنائي لهذا العمران الاقتصادي<sup>(1)</sup>.

والبناء الاقتصادي في الإسلام يتمثل بذلك البناء القائم على مجموعة الأسس والقواعد الثابتة المستخرجة من القرآن الكريم والسنة النبوية، وهذا البناء الاقتصادي ليس ثابتاً، وإنما هو متغير بتغير الزمان والمكان، فبناء على طبيعة البيئة التي يعيش فيها الناس يمكن لنا إيجاد محددات ذلك البناء الاقتصادي بناء على الأسس والقواعد الثابتة من القرآن والسنة<sup>(2)</sup>.

ويعد البناء الاقتصادي من أكثر أنماط العمران تأثيراً في العمران السياسي للدولة المسلمة؛ لأن هذا العمران قد يشكل وسيلة ضغط على السياسات الإسلامية الداخلية والخارجية، ومن هنا يظهر أثر هذا البناء الاقتصادي في تشكيل سياسات الدولة المسلمة، لذا فإن على المسلمين أن يعتمدوا على رؤوس الأموال الإسلامية في تحقيق

---

<sup>1</sup>. ابن نبي، مالك بن الحاج عمر بن الخضر (ت: 1393هـ). تأملات، تحقيق: ندوة مالك بن نبي، دار الفكر، دمشق. سوريا، الطبعة الأولى، 1979م، ص: 57.

<sup>2</sup>. رفاعي، عاطف إبراهيم المتولي. صور الإعلام الإسلامي في القرآن الكريم. دراسة في التفسير الموضوعي، رسالة ماجستير، كلية العلوم الإسلامية، قسم التفسير وعلوم القرآن، إشراف: حاتم محمد منصور مزروعى، جامعة المدينة العالمية، ماليزيا، 2011م، ص: 227.

أكبر قدر ممكن من النماء الاقتصادي، والابتعاد عن الاعتماد على رؤوس الأموال الغربية في تحقيق البناء الاقتصادي<sup>(1)</sup>.

وينطلق البناء الاقتصادي الإسلامي من التصور الإسلامي للاقتصاد وأهمية تحقيق الاكتفاء الذاتي وإعطاء المواد الخام قيمتها المطلوبة من عمليات التبادل، وعدم الاعتماد على رؤوس الأموال الأجنبية. ولا بد من التأكيد على أهمية شعار لقمة العيش حق لكل فم والعمل واجب على كل ساعد، والاعتماد على جهد وعمل أبناء الوطن، ومن المنظور التربوي يتطلب ذلك إعادة صياغة الوعي الفردي بالنسبة للمتغيرات الاقتصادية كالإنتاج والاستهلاك والإعداد المهني، ونشر روح التضحية والتكاتف<sup>(2)</sup>.

ومن خلال ما سبق كله يمكن للباحث أن يتوصل إلى تعريف عام لهذا العمران الاقتصادي الإسلامي، وهو ذلك البناء القائم على أسس ثابتة مستخلصة من القرآن الكريم والسنة النبوية، وهو بناء متغير بتغير أحوال الناس، وبتغير بيئاتهم المختلفة، وبتغير الأزمنة وتعددتها، غير أنه لا يخرج عن تلك الأسس الثابتة التي حددت له من خلال النصوص الشرعية.

وسيقوم الباحث ضمن هذا المبحث بمشيئة الله سبحانه وتعالى بتسليط الضوء على أهم هذه الأسس التي يقوم عليها العمران الاقتصادي الإسلامي.

### 2.3.2 أثر الزكاة والصدقة في استقرار العمران الاقتصادي

وضع الإسلام مجموعة من الأسس التي بنى عليها العمران الاقتصادي، ومن أهم هذه الأسس على الإطلاق فرض الزكاة، والترغيب في الصدقات، لما لهذا الأساس من أثر كبير جداً على النمو الاقتصادي الإسلامي من ناحية، وعلى المحافظة على استمرار البناء الاقتصادي متيناً لا تؤثر فيه الأزمات الاقتصادية المختلفة.

ولقد ذكر الله سبحانه وتعالى الزكاة والصدقة في مواضع كثيرة في كتابه العزيز، حتى إنها لا تكاد تُحصى، وذلك تأكيد على أهمية هذه الزكاة في المجتمع الإسلامي،

<sup>1</sup>. انظر: اليوسف، عبد الرحمن بن عبد الخالق. أضواء على أوضاعنا السياسية، دار القلم،

الكويت، الطبعة الأولى، 1398هـ، 1978م، ص: 65.

<sup>2</sup>. السمالوطي. بناء المجتمع الإسلامي، ص: 178.

ومما يؤكد أيضاً ويبين أهمية هذا الركن العظيم من أركان الإسلام أن الله سبحانه وتعالى تولى بنفسه تقسيم هذه الأموال المعدة للزكاة، قال سبحانه وتعالى: ﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَمِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبِهِمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَرَمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦٠﴾ (التوبة، 60).

بيّنت هذه الآية الكريمة الأصناف التي تصرف لهم الزكاة في الإسلام، وهي ثمانية، ولقد حددها سبحانه وتعالى تحديداً دقيقاً كي لا يختلف فيها اثنان، وكي لا تكون ميداناً للاجتهاد الذي قد يصيب وقد يخطئ، بل كان التحديد الإلهي ملزماً في هذه الزكاة<sup>(1)</sup>. وعند النظر في تلك الأصناف التي حددها سبحانه وتعالى نجد أنها كلها بحاجة للمال، وهذا يدل على أنه سبحانه وتعالى أوجد هذه الزكاة من أجل التقليل ما أمكن من وجود هذه الأصناف في المجتمع الإسلامي، وهو نوع من التوازن الاقتصادي الذي أوجده الإسلام من خلال هذا الركن العظيم، كما أن هذه الأصناف التي ذكرتها الآية الكريمة تؤكد على فكرة أن الإسلام يسعى دائماً إلى توزيع الثروة، والتخلص من استقرار الثروات في يد طبقة معينة من طبقات المجتمع.

والزكاة تعني التطهير أو التزكية، إذ هي تطهر المال مما علق به من الشوائب المالية<sup>(2)</sup>، فكأنها تزيل هذا الخبث من المال لكي تجعله طاهراً زكياً ولولا هذه الزكاة لخبث المال وربما صار حراماً، وقيل إنها تطهر نفس الغني من البخل والشح، وتلحقه بالمنفقين المحسنين الشاكرين لأنعم الله عليهم، كما أن الزكاة فيها تطهير لنفس الفقير من الحسد والغل والبغض لذلك الغني الذي يكنز الأموال، فحين يعطيه الغني من هذه الأموال فإنه يطهر نفسه من كل ما علق بها من مشاعر خبيثة تجاه الأغنياء من المسلمين<sup>(3)</sup>.

إن القرآن الكريم حين أنزله الله سبحانه وتعالى أنزله من أجل خير الناس جميعاً، ولم ينزله من أجل فئة دون أخرى، ومن هنا كان إرشاده سبحانه وتعالى الناس إلى طرق الخير كافة، ومن بينها الزكاة، إذ من خلال هذا الطريق يمكن الوصول إلى

<sup>1</sup>. الثعلبي. الكشف والبيان، ج: 5، ص: 57.

<sup>2</sup>. انظر: الواحدي. الوسيط في تفسير القرآن المجيد، ج: 1، ص: 129.

<sup>3</sup>. الماوردي. النكت والعيون، ج: 1، ص: 113.

التنمية الحقيقية للمال، والوصول إلى تزكية هذا المال، فالزكاة تؤدي إلى نماء المال وتكاثره ببركة من الله سبحانه وتعالى<sup>(1)</sup>.

وترد الزكاة في القرآن الكريم بغير لفظ الزكاة، فوردت بلفظ الصدقة، والإنفاق مثلاً، فهذه كلها مواضع تدل على الأهمية الكبيرة للزكاة في الإسلام، كما تدل على التأكيد الإلهي على هذا الركن الإسلامي العظيم<sup>(2)</sup>.

ومن ناحية أخرى فإن الله سبحانه وتعالى قد توعد الذين لا ينفقون أموالهم في سبيل الله ويمنعون الزكاة المفروضة عليهم بعذاب أليم يوم القيامة، يقول سبحانه وتعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْأَجْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لِيَآكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَطْلِ وَيَصُدُّونَ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْتُمُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٥﴾﴾ (التوبة، 34 . 35).

اشتملت هذه الآية الكريمة على وعيد صريح من الله سبحانه وتعالى للذين يجمعون الذهب والفضة بعضها إلى بعض، ثم يكتنزونها ولا يؤدون حق الله سبحانه وتعالى فيها وهو الزكاة، فلهم عذاب أليم يوم القيامة، وهذا الوعيد منه سبحانه وتعالى جاء صراحة لبيان عظم هذا الذنب الذي اقترفه مثل هؤلاء الناس<sup>(3)</sup>.

والمقصود بالكنز: المال المجموع بعضه إلى بعض، ولا يشترط فيه أن يكون مدفوناً، بل إنه قد يكون على وجه الأرض، ولقد اختلف المفسرون في هذه الآية هل هي في أهل الكتاب أم هي عامة، والصحيح والله أعلم أنها عامة في كل من يمنع

<sup>1</sup>. الشاربي، سيد قطب إبراهيم (ت: 1385هـ). في ظلال القرآن، دار الشروق، بيروت . لبنان،

والقاهرة . مصر، الطبعة السابعة عشرة، 1412هـ، ج: 5، ص: 2770.

<sup>2</sup>. القحطاني، سعيد بن علي بن وهف. الزكاة في الإسلام في ضوء الكتاب والسنة: مفهوم ومنزلة وحكم وفوائد وأحكام وشروط ومسائل، مركز الدعوة والإرشاد، القصب . السعودية، الطبعة الأولى، 1431هـ، 2010م، ص: 16.

<sup>3</sup>. السمعاني. تفسير القرآن، ج: 2، ص: 305.

زكاة المال المحفوظ عنده، فمن يمنع زكاة هذا المال المحفوظ فإن عليه أن يواجه ذلك العذاب الأليم الذي أعده سبحانه وتعالى لمانع الزكاة هذا<sup>(1)</sup>.

والمقصود بالكنز: الحفظ، وهو لا يختص بالذهب والفضة دون غيرهما، وإنما أطلق عليهما من قبيل أنهما الأكثر في الكنز، وهذا الوعيد الشديد من الله سبحانه وتعالى لمن لا ينفق هذه الأموال المجموعة في سبيل الله، ولا يؤدي ما عليها من زكاة، وهو القول الأرجح من مجموع أقوال المفسرين والعلماء<sup>(2)</sup>.

ويظهر لنا من خلال ما تقدم الأثر الكبير الذي تحدثه الزكاة في استمرار البناء الاقتصادي الإسلامي، وذلك كما يلي:

أولاً: تقف الزكاة حائلاً دون انحصار الثروة في يد طائفة قليلة من الأمة الإسلامية، إذ من خلال الزكاة يمكن توزيع هذه الثروات بما يؤدي إلى التخلص من فقر الفقراء، وحاجة المحتاجين.

ثانياً: تؤدي الزكاة دور التنمية لأموال المزكي، وذلك لأنه سبحانه وتعالى يبارك في ذلك المال، والبركة عنصر مهم من عناصر نمو المال.

ثالثاً: تجعل الزكاة نفس الغني مطهرة من البخل والشح، كما تجعل نفس الفقير مطهرة من الحسد والغل وتمني زوال النعمة عن الغني.

رابعاً: لا تقتصر الزكاة على الفقراء والمساكين فحسب، بل هي تتعدى هذين الصنفين إلى أصناف أخرى حددها الشرع الكريم من خلال نص القرآن الكريم، وهذه الأصناف إذا أعطيت من أموال الزكاة فإن ذلك سيؤدي إلى نمو اقتصادي كبير في الدولة الإسلامية.

خامساً: إن الزكاة فرض محدد مقدر له شروطه وأركانه، ثم إنها تؤدي كل هذه الوظيفة في البناء الاقتصادي الإسلامي، ولا شك أن الصدقة المتروكة لجود

<sup>1</sup>. ابن عطية. المحرر الوجيز، ج: 3، ص: 27 . 28.

<sup>2</sup>. ابن عادل الحنبلي، سراج الدين أبو حفص عمر بن علي (ت: 885هـ). اللباب في علوم الكتاب، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت .

لبنان، الطبعة الأولى، 1998م، ج: 10، ص: 78 . 79.

الغني المسلم لها دورها أيضاً في تطوير البناء الاقتصادي، ودعم عمرانته في الدولة الإسلامية.

### 3.3.2 تحريم الربا لحماية العمران الاقتصادي

ولم يقتصر العمران الاقتصادي في الإسلام على إيجاد الدعامات الأساسية لهذا النظام فحسب، بل إنه أوجد بعض الأحكام التي من شأنها أن تحمي الاقتصاد الإسلامي من جشع أصحاب الأموال، كما تحميه من الاستغلال والسيطرة، كل هذا من أجل التوزيع العادل للثروات، والحيلولة دون انحصار هذه الثروات في يد طبقة واحدة أو جماعة تكون متنفذة مالياً في المجتمع الإسلامي دون غيرها من الطبقات والجماعات الأخرى، ومن هنا جاء تحريم الربا صراحة في آيات القرآن الكريم. والربا في اللغة الزيادة، وفي الشرع: هو فضل خالٍ عن عوض شرط لأحد العاقدين<sup>(1)</sup>.

فالربا وفقاً لذلك زيادة في المال لأحد طرفي العقد . أي المتبايعان . دون عوض من الطرف الآخر، فيكون الطرف الآخذ مرابياً، والطرفان واقعان في الإثم، ومن هنا كان الربط بين المعنى اللغوي والمعنى الاصطلاحي من حيث إنهما يشيران إلى معنى الزيادة<sup>(2)</sup>.

وقال المناوي في تعريف الربا أيضاً: هو "عقد على عوض مخصوص غير معلوم التماثل في معيار الشرع حالة العقد أو مع تأخر في البديلين أو أحدهما"<sup>(3)</sup>.

---

<sup>1</sup>. الجرجاني، علي بن محمد بن علي الشريف (ت: 816هـ). كتاب التعريفات، ضبطه وحققه: مجموعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية، بيروت . لبنان، الطبعة الأولى، 1403هـ، 1983م، ص: 109.

<sup>2</sup>. القونوي، قاسم بن عبد الله بن أمير علي (ت: 978هـ). أنيس الفقهاء في تعريفات الألفاظ المتداولة بين الفقهاء، تحقيق: يحيى حسن مراد، دار الكتب العلمية، بيروت . لبنان، الطبعة الأولى، 1424هـ، 2004م، ص: 77.

<sup>3</sup>. المناوي. التوقيف على مهمات التعاريف، ص: 173.



وحرّم الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز الربا صراحة، وذلك في غير موضع من القرآن، يقول سبحانه وتعالى: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٧٥﴾﴾ (البقرة، 275).

وقال أيضاً: ﴿يَمَحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴿٢٧٦﴾﴾ (البقرة، 276).  
وقال جل في علاه أيضاً: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِن تُبْتِغُوا فَلَئِمَّ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٩﴾﴾ (البقرة، 278 . 279).

وقال سبحانه وتعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٣٠﴾﴾ (آل عمران، 130).

وقال سبحانه في شأن أهل الكتاب: ﴿وَآخِذْهُمْ الرِّبَا وَقَدِّمُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ ؕ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦١﴾﴾ (النساء، 161).

تشير هذه الآيات الكريمة إلى تحريم الربا صراحة لا شك فيه، بل إن هذه الآيات تؤكد على هذا التحريم الصريح، ولولا خطورة هذا العمل، وعظم ذنبه لما كان هذا التكرار المؤكد في آيات القرآن الكريم على تحريم الربا.

لقد بينت الآيات الكريمة السابقة أن آكل الربا يقوم يوم القيامة كأنه قد مسه الشيطان بالجنون، فهم يقومون من قبورهم مجانين وذلك بسبب أكلهم الربا في الحياة الدنيا، ومن ناحية ثانية فإنه سبحانه وتعالى بيّن سبب هذا العذاب الذي سيحل بهم يوم القيامة أنه ناتج عن قولهم بأن البيع مثل الربا، فجاءت هذه الآية الكريمة مكذبة لقولهم هذا، ومبينة أن الربا ليس كالبيع، وأنهما مختلفان، إذ أحل سبحانه وتعالى البيع وحرّم الربا، فعلى الناس التوبة، كي يخرجوا من هذا الذنب العظيم<sup>(1)</sup>.

ومن ناحية ثانية فقد توعّد الله سبحانه وتعالى آكل الربا بالمحق، وهو إهلاك ماله جميعاً، وذلك بسبب ما اقترفه من أكل الربا، والمحق الإهلاك مرة بعد مرة، وذلك يكون أيضاً بإذهاب البركة من هذا المال<sup>(2)</sup>.

1. الواحدي. الوسيط في تفسير القرآن المجيد، ج: 1، ص: 393 . 395.

2. البيضاوي. أنوار التنزيل، ج: 1، ص: 162.

بل إنه سبحانه وتعالى شدد العقوبة على أكل الربا وغلظها حين آذنه بحرب من الله ورسوله، فمن لم ينته عن أكل الربا ستقع عليه حرب من الله ورسوله، هذا بالنص الصريح من القرآن الكريم<sup>(1)</sup>.

إن هذا التأكيد على تحريم الربا لا بد أنه ناتج عن أسباب كبيرة تؤدي إلى اختلال في الاتزان الاقتصادي في المجتمع الإسلامي خصوصاً، والمجتمع البشري عموماً، فمن الأسباب الكامنة وراء تحريم الربا أنه أولاً: يقتضي أخذ مال الإنسان بغير عوض، والمال موضع حاجة هذا الإنسان، لذا فإن أخذ ماله بغير عوض ظلم له، كما أنه مثيل لحرمة دم هذا الإنسان، ومن هنا كان أخذ ماله بغير عوض محرماً، والثاني: لقد جاء تحريم الربا من ناحية أنه يمنع الناس من الاشتغال بالمكاسب والحرف المتعددة؛ لأن صاحب المال إذا استطاع أن يحقق درهم الربح من خلال هذا الربا منعه ذلك من أن يعمل في التجارة والصناعة وغيرها من الحرف، مما يضر بالناس، لأنهم لا غنى لهم عن هذه الحرف والتجارة، وثالثاً: قيل إن السبب في تحريم الربا أنه سبيل إلى انقطاع المواساة والمعروف بين الناس في القروض؛ لأن الفقير إذا اضطر إلى أخذ المال وكان القرض درهماً بدرهم أدى ذلك إلى تطيب نفسه، ومواساته، في عكس إذا أخذه بالربا، ورابعاً: إن الغالب في أخذ الربا أن يكون غنياً، وفي المأخوذ منه أن يكون فقيراً، ومن هنا فإن الربا تشجيع للغني أن يأخذ مالاً زائداً من هذا الفقير المسكين<sup>(2)</sup>.

إن الأسباب السابقة تؤدي إلى اختلال في اتزان البناء الاقتصادي في المجتمع نتيجة لهذا الربا، فمن خلال ما سبق يمكننا أن نبين أن الربا يؤدي إلى ما يلي:  
أولاً: انحصار الثروة في يد مجموعة من الناس هم الأغنياء، أما الفقراء فلا يزدادون إلا فقراً.

ثانياً: انخفاض مستوى العمران الاقتصادي المتمثل بالتبادل التجاري، والتشجيع على الحرف والصناعات المتعددة بسبب ركون أصحاب رؤوس الأموال إلى الربا من أجل تحقيق الفائدة الأكبر، وجني المال دون عناء أو جهد أو تعب، في حين أن الناس لا غنى لهم عن التجارة والحرف المتعددة.

1. النسفي. مدارك التنزيل، ج: 1، ص: 226.

2. الرازي. مفاتيح الغيب، ج: 7، ص: 74.

ثالثاً: ولو أن العمران الاقتصادي كان مقاماً على الربا لكان مهدداً بالانهيار في أي لحظة، وذلك أن الله سبحانه وتعالى قد هدد آكل الربا بالمحق، وزوال بركة المال، ومن هنا فإن هذا البناء الاقتصادي سيكون معرضاً للهلاك والحرب من الله تعالى.

ونتيجة لهذا كله فقد جعل الله سبحانه وتعالى عقوبة آكل الربا شديدة مغلطة، هي: أولاً: يقوم يوم القيامة كالمجنون.

ثانياً: له نار جهنم إذا أصر على أكل الربا.

ثالثاً: آذنه الله سبحانه وتعالى بالحرب ومحق البركة وخسران كل شيء، وهلاك المال كله.

#### 4.3.2 السياسة الاقتصادية الحكيمة من خلال قصة يوسف عليه السلام

إن العمران الاقتصادي في الإسلام لا يعتمد فحسب على المنهج المالي المتمثل بالقواعد والأسس الأساسية التي يقوم عليها هذا النظام، بل لا بد له من الاعتماد أيضاً على العنصر البشري المدرب والمؤهل من أجل القيام بمهمة العمران الاقتصادي من خلال الأموال والقوانين والقواعد الموضوعية، فإذا ما وُجد العنصر البشري المؤهل لشغل هذه المرتبة الاقتصادية فدون شك سيكون العمران الاقتصادي على أفضل ما يرام، ويمكن أن نرى هذه السياسة الحكيمة في إدارة الأموال من خلال قصة يوسف عليه السلام حين أول رؤيا الملك، إذ يقول سبحانه وتعالى: ﴿ وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِنَّ كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ ﴿٤٣﴾ قَالُوا أَضْغَثٌ أَحْلَمٌ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَمِ بِعَالِمِينَ ﴿٤٤﴾ وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ ﴿٤٥﴾ يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٤٦﴾ قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَابًا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا نَأْكُلُونَ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَا كُنْ مَا قَدَّمْتُمْ هُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَحْصِنُونَ ﴿٤٨﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعَصْرُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾ (يوسف، 43 . 49).

لم يكتفِ يوسف . عليه السلام . بتأويل الرؤيا فحسب، بل أعطى القوم الطريقة التي يمكن من خلالها التخلص من الأعوام السبعة الشداد، ويقال: إن يوسف قال للفتى:

سنتأتي سبع سنوات مخصبات، ويتلوهن سبع شداد يأكلن كل شيء إلا أن يحتال لهن، فقال الملك للفتى: ارجع إليه واسأله كيف الاحتيايل لهن، فعبر يوسف . عليه السلام . عن الطريقة التي يمكن بها الاحتيايل لهذه السنوات السبع الشداد، فقال: تزرعون في السبع المخصبات دأباً، فكل ما حصدموه فاتركوه في سنبله إلا قليلاً مما تأكلون، وبقاء القمح في سنابله أدوم له، وحفظ له من التسوس والخراب، ثم يأتي بعد ذلك سبع عجاف يأكلن كل شيء إلا قليلاً مما تدخرونه من الطعام، ثم يأتي عام فيه يغاث الناس ويُمطرون<sup>(1)</sup>.

ويظهر لنا من خلال هذه القصة القرآنية الأمور الآتية:

أولاً: استطاع يوسف عليه السلام أن يدبر أمر السنوات الشداد من خلال ادخار القمح من السنوات المخصبات.

ثانياً: ولكي يحافظ على هذا القمح من التلف والخراب استطاع يوسف . عليه السلام . أن يجد حيلة يمكن معها الحفاظ على هذا القمح سليماً من الخراب هذه المدة الطويلة، وهي إبقاؤه في سنابله لأن في ذلك حفظاً له.

لقد استطاع يوسف . عليه السلام . من خلال حكمته وحسن تدبيره أن يتخطى هذه السنوات الشداد من خلال هذا الفكر الاقتصادي الدقيق، وهذا الوعي بتأويل الرؤى، وهذا فيه نظرة في البناء الاقتصادي الإسلامي، وهي أن على القائمين على هذا البناء الاقتصادي أن يدبروا أحواله حتى يصلوا إلى بر الأمان في حال وجود الأزمات هذا من ناحية، ومن ناحية ثانية فإن عليهم أن يستخدموا هذا التدبير في حال عدم وجود الأزمات من أجل الحفاظ على استقرار هذا النظام.

ومن خلال ما سبق كله في هذا المبحث يمكن للباحث أن يبين أن العمران الاقتصادي في الإسلام قائم على مجموعة من الدعائم، وذلك كما يلي:

أولاً: لقد حاول الإسلام إلغاء الطبقات ما أمكن ذلك عن طريق فرض الزكاة على الأغنياء، وإعطائها للفقراء، وعن طريق تحريم الربا كي لا يزداد الغني غنى، والفقير فقراً.

<sup>1</sup>. الجوزي. زاد المسير، ج: 2 ، ص: 442 . 444.

ثانياً: كما حاول الإسلام توزيع الثروات توزيعاً عادلاً كي لا تبقى في يد طبقة متنفذة في المجتمع الإسلامي، وذلك أيضاً من خلال الزكاة والصدقة وتحريم الربا. ثالثاً: لم يدع الإسلام أمر الصدقات والزكاة دون تحديد أو تقييد، وإنما حدد سبحانه وتعالى مصارف هذه الزكاة كي تصل إلى مستحقيها، وكي تحول دون خراب العمران الاقتصادي.

رابعاً: بينت نصوص القرآن الكريم من خلال سورة يوسف . عليه السلام أن العمران الاقتصادي ليس قائماً على التشريع فحسب، وإنما هو معتمد أيضاً على الأيدي البشرية المدربة تدريباً سليماً قوياً، حتى تستطيع هذه الأيدي البشرية القيام بالوظيفة الإدارية لهذا المال على الوجه الصحيح القويم. خامساً: لا يقتصر دور التشريع الإسلامي على العمران الاقتصادي فحسب؛ بل إنه وضع القواعد والسبل التي تحقق ديمومة هذا العمران، وتحقق له الحماية الكافية كي يؤدي وظيفته للبشر مدى الدهر.

#### 4.2 العمران الاجتماعي في ضوء القرآن الكريم

ربما كان هذا النمط من أنماط العمران من أكثرها أهمية إن لم يكن أهمها على الإطلاق؛ وذلك لأن هذا النمط العمراني ذو ارتباط وثيق بطبيعة الحياة العامة للبشر هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فإن هذا النمط العمراني ذو ارتباط وثيق أيضاً بكافة أشكال العمران الأخرى، إذ إنه إذا صلح المجتمع صلح سائر أركان الحياة الأخرى، في حين أنه إذا فسد هذا المجتمع فلا شك أن سائر الأركان الأخرى ستفسد معه، ومن هنا كان العمران الاجتماعي من أكثر أشكال العمران أهمية في التنظيم الإسلامي من خلال القرآن الكريم.

ويرى الباحث أن أهم ركيزة في تشييد هذا العمران الاجتماعي تتمثل بالأسرة، لذا فإن أكثر الحديث في هذا المبحث سينصب على الأسرة، وأهميتها، وبعض القضايا التي تتعلق بها، لما لهذه الأسرة من أثر كبير في نمو المجتمع، وتطور العمران الاجتماعي.

وحيث نتحدث عن البناء الاجتماعي في أي مجتمع، سواء أكان المجتمع إسلامياً أم لا فإننا دون شك لا بد من توجيه الثقافة والفكر من أجل تدعيم هذا البناء الاجتماعي؛ لأنه لو حصل ودخلت ثقافات سلبية، وأفكار هدامة على كيان هذا البناء الاجتماعي فإنه دون شك ستؤدي هذه الأفكار الهدامة، والثقافات السلبية إلى تدمير البناء الاجتماعي بأسره<sup>(1)</sup>.

ولا بد للبناء الاجتماعي من شبكة من العلاقات الاجتماعية التي تربط أطراف المجتمع بعضها ببعض، وذلك من أجل اتساق وانسجام هذا الكيان المجتمعي، وتخلصه من كافة أشكال التفريق والتمزق، كي يكون البناء الاجتماعي متيناً متماسكاً، وهذا الهدف تسعى له كافة الشرائع دون استثناء<sup>(2)</sup>.

إن العمران الاجتماعي في أي مجتمع كان، وفي أي حضارة كانت لا بد له من أركان يقوم عليها، ولا بد له من أسس يبنى عليها، ومن بين تلك الأسس الفن، والعقل، والعلم، فهذه الأسس الثلاثة لا تؤدي وظيفتها التامة إذا لم يأخذ المجتمع بعين الاعتبار أساس الروح؛ لأن بالروح فقط يمكن لهذا المجتمع الديمومة والاستمرار، ويمكنه أيضاً بهذه الروح أن يصعد؛ لأن الجسم الذي لا يصعد لا شك أنه يهوي إلى الأرض، فهذه المقومات الثلاث إذا لم تشتمل على مقوم الروح فلا شك أن البناء الاجتماعي سينهار ويصبح هباءً منثوراً<sup>(3)</sup>.

ومن هنا فقد ركز التشريع الإسلامي على بناء الروح البشرية من أجل إقامة المجتمع الإسلامي السليم المتماسك، وتشبيد العمران الاجتماعي على الدعائم القوية المتينة التي من شأنها أن تحفظ هذا المجتمع، ولقد أشرنا من قبل أن هذا البناء الاجتماعي في الإسلام قد بدأ من الأسرة؛ لأنها تمثل العنصر الأساسي في تكوين هذا

---

<sup>1</sup> ابن نبي، مالك بن الحاج عمر بن الخضر (ت: 1393هـ). مشكلة الثقافة، تحقيق: ندوة مالك

بن نبي، دار الفكر، دمشق. سوريا، الطبعة الخامسة، 1420هـ، 2000م، ص: 91.

<sup>2</sup> ابن نبي، مالك بن الحاج عمر بن الخضر (ت: 1393م). ميلاد مجتمع، ترجمة: عبد الصبور

شاهين، دار الفكر، الجزائر، ودمشق. سوريا، الطبعة الثالثة، 1406هـ، 1986م، ص: 56.

<sup>3</sup> ابن نبي، مالك بن الحاج عمر بن الخضر (ت: 1393هـ). وجهة العالم الإسلامي، دار الفكر،

بيروت. لبنان، ودمشق. سوريا، الطبعة الثانية، 1431هـ، ص: 31.

المجتمع، كما تمثل اللبنة الأولى فيه، ومنها ينطلق المجتمع نحو التقدم والرقى والحضارة.

#### 1.4.2 العمران المعنوي السكن الزوجي

تمثل الأسرة أهم عناصر التكوين الاجتماعي في الإسلام، ومن هنا فقد أولاهما أهمية كبيرة، ووضع لها التشريع الإسلامي قواعد راسخة، وأسس متينة من أجل الحفاظ على هذا العنصر المهم في تكوين المجتمع الإسلامي، فالأسرة: هي البيئة الأساسية التي تغرس في الفرد قيمه ومبادئه، وعاداته، وتقاليده، وعقيدته، وأكثر المنظومات التربوية التي ترافق الإنسان على مدار حياته، لذا فإن البيئة الأسرية أكثر البيئات التربوية تأثيراً في حياة الإنسان<sup>(1)</sup>.

والأسرة هي: الوحدة الأولى في تكوين المجتمع الإسلامي، كما أن هذه الأسرة حين تترايط مع الأسر الأخرى تكون المجتمع الإسلامي بأكمله، يعني ذلك أن كل أسرة تمثل لبنة بذاتها، واجتماع هذه اللبنة يؤدي إلى قيام العمران الاجتماعي في المجتمع الإسلامي<sup>(2)</sup>.

ومن خلال التعريف السابق للأسرة في الإسلام يتضح لنا بكل جلاء أن هذه الأسرة لها دورها الكبير في تكوين العمران الاجتماعي في الإسلام، كيف لا وهي تمثل اللبنة الأولى التي توضع في سبيل إتمام هذا العمران الاجتماعي، وإذا كانت اللبنة الأولى في موضع سليم، وشغلت مكانها على الوجه السليم فلا شك أن البناء كله سيكون مستقيماً، والأمر ذاته ينسحب على كافة اللبنة الأخرى في تكوين هذا المجتمع الإسلامي، فكل أسرة من الأسر تمثل بذاتها عنصراً حيوياً في بناء المجتمع الإسلامي، وحين تجتمع هذه اللبنة بعضها إلى بعض تكون العمران الاجتماعي المتماسك والمتلاحم.

<sup>1</sup>. انظر: محجوب، عباس. بيئات التربية الإسلامية، مجلة الجامعة الإسلامية، السنة الثانية عشرة، العدد السادس والأربعون، المدينة المنورة. السعودية، 1400هـ، ص: 108.

<sup>2</sup>. الجوابي، محمد طاهر. المجتمع والأسرة في الإسلام، دار عالم الكتب للطباعة والنشر، بيروت. لبنان، الطبعة الثالثة، 1421هـ، 2000م، ص: 92.

## 2.4.2 البناء الأسري ودوره في البناء الاجتماعي

لما كانت الأسرة تمثل اللبنة الأساسية والأولى في بناء المجتمع، فقد أولى الإسلام أهمية كبيرة لهذه الأسرة، وأخذ ببنائها وتكوينها تكويناً سليماً، بدءاً من الزوجين، وانتهاءً بالأطفال، فقد حرص الإسلام على اختيار الزوجة الصالحة المؤمنة، والقبول بالزوج الصالح المسلم حتى وإن كان عبداً، فالمعيار الذي يقاس به الزوج دينه وصلاحه، وخلقه، كما أن المعيار الذي تُقاس به الزوجة دينها وخلقها<sup>(1)</sup>، يقول الله سبحانه وتعالى في توثيق هذا المبدأ في نفوس المسلمين: " وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَ وَلَأَمَةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلَا تُنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُولَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ"، (البقرة: 221).

ينطلق العمران الاجتماعي في المجتمعات البشرية من الأسرة، ومن هنا فإن أكثر الأشياء رسوخاً في ذهن الفرد المسلم هي تلك التي يتلقاها في أسرته؛ لأنه فيها يتلقى المبادئ الأولى للتربية الإسلامية<sup>(2)</sup>، وهذه هي الركيزة الثانية في بناء الأسرة في الإسلام، فإن تربية الأطفال من أهم عناصر بناء الأسرة في الإسلام.

فالأسرة هي البيئة الأساسية لتربية الأطفال، إذ تقوم بتربيتهم وغرس القيم الحميدة في نفوسهم، وتسليحهم بالعلم والمعرفة، وتبيين كافة الحقائق الدينية التي تعينهم على الاستقامة في طريق الإسلام السمحة، هذا ما يمكننا أن نلاحظه من خلال نصائح لقمان الحكيم لابنه، يقول سبحانه وتعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ لِقْمَنُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ ﴾ (لقمان، 13).

ويقول أيضاً: ﴿ يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِنْكَ حَبَّةٌ مِمَّنْ خَرَدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِيهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٦﴾ يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿١٧﴾ وَلَا تَصْعَقْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمَسَّ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَأَعْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ﴿١٩﴾ ﴾ (لقمان، 16 . 19).

<sup>1</sup>. انظر: النسفي. مدارك التنزيل، ج: 1، ص: 184.

<sup>2</sup>. الجوابي. المجتمع والأسرة في الإسلام، ص: 92.



يتبين لنا من خلال هذه الآية الكريمة كيف أن لقمان الحكيم قد أوصى ابنه بألفاظ سهلة يسيرة، واضحة، وذلك من أجل إعطائه الخبرة التي اكتسبها في حياته هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فإن هذه الوصايا التي وصى بها لقمان ابنه تمثل عنصراً مهماً من عناصر التربية لهذا الابن، فلقد استطاع الأب . لقمان . أن يزود ابنه بوصايا حكيمة، كانت بمثابة الركيزة الأساسية التي يعتمد عليها هذا الابن في تربيته الأسرية، فقد بين له أن الله سبحانه هو وحده المستحق للعبادة، وبين له أنه سبحانه له علم عظيم لا يخفى عليه شيء، ثم أعطاه بعض النصائح الخلقية في الحياة، وهي ألا يصعر خده للناس، ولا يمشي في الأرض مرحاً، ولا يرفع صوته، وأن يقصد في مشيه، كل هذه مبادئ عظيمة في المسيرة التربوية لهذا الابن في أسرته التي يمثل لقمان الحكيم رأسها<sup>(1)</sup>.

تبيّن لنا من خلال ما سبق أهمية التربية السليمة في تشكيل بناء أسري قويم، كما تبيّن لنا أثر الحكمة التي يستعملها الآباء في تربية أبنائهم التربية الحسنة السليمة. وبناء الأسرة الواحدة يؤدي إلى بناء المجتمع، فدون شك أن المجتمعات البشرية كلها مكونة من أسر متجمعة بعضها إلى بعض، فالأسر حين تجتمع إلى جوار بعضها بعضاً تشكل المجتمع البشري الكبير، وصالح الأسرة يؤدي إلى صلاح المجتمع، كما أن فساد الأسرة سيؤدي إلى فساد المجتمع، ومن هنا يظهر لنا دور هذا البناء الأسري في توطيد دعائم البناء الاجتماعي<sup>(2)</sup>.

إن التربية التي تسلمح الأسرة بها أفرادها تمثل العنصر الأساسي في إعداد هؤلاء الأفراد من أجل تولي المسؤوليات الاجتماعية المختلفة، وذلك أن هذه التربية تكون معيناً لهؤلاء الأفراد في عملية تولي هذه المسؤوليات بما تمثله من سلاح مهم في أيدي هؤلاء الأفراد، إذ دون شك فإن الأبناء يتأثرون بما أودعته فيهم أسرهم من عناصر تربوية مهمة، ومن ثم فإنهم قادرون على استعمال هذه العناصر التربوية في إنجاز تلك المهام الاجتماعية التي توكل إليهم<sup>(3)</sup>.

1. انظر: البغوي. معالم التنزيل، ج: 3، ص: 588 . 589.

2. الجوابي، المجتمع والأسرة في الإسلام، ص: 92.

3. الجوابي. المجتمع والأسرة في الإسلام، ص: 92.

وبناء عليه يمكننا أن نستوضح دور البناء الأسري في العمران الاجتماعي في الإسلام، إذ إنها لما كانت النواة الأولى في المجتمع، واللبننة الأولى في هذا العمران، كان لها دورها الكبير فيه، علاوة على أن هذه اللبنة مع غيرها من اللبئات الأخرى تمثل المجتمع بأسره، فإذا صلحت هذه اللبنة، وصلحت تلك اللبنة، وتلك اللبنة، فدون شك سيصلح كافة العمران الاجتماعي في العالم بأسره.

### 3.4.2 العلاقات الأسرية

لما كانت الأسرة هي اللبنة الأساسية في العمران الاجتماعي، ولما كانت هذه الأسرة هي التي ينطلق منها المجتمع، فقد جاء القرآن الكريم ليؤكد على أهمية هذه الأسرة، ويضع جميع الضوابط التي من شأنها أن تحمي بناء هذه الأسرة، ومن شأنها أن تجعلها منيعة متماسكة كي تؤدي وظيفتها الاجتماعي في استمرار العمران الاجتماعي، ودعمه بالأفراد الفاعلين فيه، ومن هنا كان الأمر الرباني بوجوب بر الوالدين، وتحريم عقوقهما، سبيلاً منه سبحانه وتعالى كي تخرج هذه اللبنة الاجتماعية متماسكة متلاحمة ما أمكن ذلك.

يقول سبحانه وتعالى في بيان وجوب بر الوالدين وتحريم عقوقهما ولو بكلمة: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أَوْفٍ وَلَا نَهْرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٣٣﴾ وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيْتَنِي صَغِيرًا ﴿٣٤﴾﴾ (الإسراء، 23 . 24).

اشتملت هاتان الآيتان على مجموعة من الأوامر والنواهي التي أمر بها الله سبحانه وتعالى المسلمين عموماً، وأول هذه الأوامر قضاء الله سبحانه وهو أمره بالألا يعبد الإنسان إلا الله، والأمر الثاني الإحسان بالوالدين في حياتهما وفي مماتهما، ثم إنه سبحانه وتعالى أورد مجموعة من الأوامر الربانية التي يتوجب على المسلم القيام بها في حال وصول الوالدين . أحدهما أو كليهما . إلى مرحلة العجز والكبر، فلا يحل للمسلم أن يقول لهما البذيء من الكلام، ولا يتأفف من خدمتهما، ولا ينتهرهما، وإنما

عليه أن يقول لهما قولاً كريماً، ولا يستثقل هذه الخدمة، فقد كانوا من قبل يخدمونه وهو صغير دون أن يتأففوا أو يستثقلوا<sup>(1)</sup>.

ثم إنه أمر الله سبحانه وتعالى المسلم بأن يلتزم جانب التذلل لهذين الوالدين، وينظر لهما نظرة التذلل والرحمة، ثم إن عليه أن يدعو لهما بالمغفرة والرحمة، لقاء ما كانا قد صنعا به وهو صغير<sup>(2)</sup>.

إن هذه الأوامر والنواهي التي اشتملت عليها الآية القرآنية الكريمة تبين منزلة الوالدين في الإسلام، وتبين ما لهما من حقوق على أبنائهما بعد أن يصلحاً بعيداً في الكبر، فلا يصلح من الأبناء أن يتفوهوا ولو بكلمة بسيطة وهي "أف" بمعنى أتضجر، أو أستثقل، فإذا كانت هذه اللفظة منهي عنها، فمن باب أولى أن تكون ما فوقها منهي عنها أيضاً، كما اشتملت هذه الآية الكريمة على حديث عن وجوب بر الوالدين والدعاء لهما بالخير<sup>(3)</sup>.

إن هذه الأوامر والنواهي الربانية الصريحة لم تكن إلا من أجل تدعيم البناء الاجتماعي في المجتمع الإسلامي من ناحية، ومن أجل ضمان استمرار الانسجام ضمن هذا البناء، وتماسك هذه الشبكة من العلاقات الأسرية الضرورية في تدعيم العمران الاجتماعي، فكما أشرنا من قبل فإن أهم هذه الأسس التي يركز عليها القرآن الكريم في العمران الاجتماعي تتمثل في هذه الأسرة.

ونجد النبي الكريم . صلى الله عليه وسلم يحث المسلمين على بر الوالدين، فمن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام لسائل سأله: أي الأعمال أحب إلى الله؟ فقال: "الصلاة على

---

<sup>1</sup>. الواحدي. الوسيط في تفسير القرآن المجيد، ج: 3، ص: 102 . 103.

<sup>2</sup>. ابن عطية. المحرر الوجيز، ج: 3، ص: 449.

<sup>3</sup>. الثعالبي، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف (ت: 875هـ). الجواهر الحسان في تفسير

القرآن، تحقيق: محمد علي معوض، وعادل أحمد عبد الموجود، دار إحياء التراث العربي،

بيروت . لبنان، الطبعة الأولى، 1418هـ، ج: 3، ص: 461.

وقتها"، قال: ثم ماذا؟، قال: "ثم بر الوالدين"، قال: ثم ماذا؟ قال: "الجهاد في سبيل الله"<sup>(1)</sup>.

فظاهر لنا من خلال هذا الحديث الشريف أنه . صلى الله عليه وسلم . قد جعل بر الوالدين في المرتبة الثانية من الأعمال التي هي أحب إلى الله تعالى بعد الصلاة على وقتها، ثم إنه . صلوات الله وسلامه عليه . قد قدم بر الوالدين على الجهاد في سبيل الله، وذلك فيه دليل على أهمية هذا العمل المفروض على المسلمين، وإن كان الجهاد في سبيل الله لا يقل أهمية عن هذه الأعمال.

ولم يقف الحال عند هذا الحد فحسب، بل نجد النبي الكريم . صلى الله عليه وسلم . يحذر تحذيراً صريحاً واضحاً من مغبة الوقوع في عقوق الوالدين، فيجعل هذا الذنب من أكبر الكبائر، إذ سئل النبي الكريم . صلى الله عليه وسلم . عن أكبر الكبائر، فقال: "الإشراك بالله، وعقوق الوالدين، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وشهادة الزور"<sup>(2)</sup>.

فإن هذا الحديث الشريف يبين لنا صراحة عظم الذنب الذي قد يقع فيه الإنسان إذا ما عق والديه، فقد قرنه النبي الكريم . صلى الله عليه وسلم . بالإشراك بالله، وبشهادة الزور، ويقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق.

ومن خلال ما سبق يمكننا أن نلاحظ إن التشريع الإسلامي قد اهتم ببر الوالدين بوصفهما العنصر الأساسي الذي تُبنى عليه الأسرة المسلمة، فإذا ما كانت هذه الأسرة بارة لهؤلاء الوالدين قائمة بحقهما تمام القيام فلا شك أن سائر المجتمع سيتأثر بهذا

---

<sup>1</sup>. البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل (ت: 256). الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة مصورة عن السلطانية، بالإضافة إلى ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي، الطبعة الأولى، 1422هـ، ج: 1، ص: 112، كتاب مواقيت الصلاة، باب فضل الصلاة لوقتها، رقم الحديث: 527.

<sup>2</sup>. البخاري. صحيح البخاري، ج: 3، ص: 171، كتاب الشهادات، باب ما قيل في شهادة الزور، رقم الحديث: 2653.

البر والإحسان بهذين الوالدين، الأمر الذي سينعكس إيجاباً على تماسك العمران الاجتماعي في الإسلام.

ومن ناحية ثانية فقد غلظ الشرع الكريم ذنب عقوق الوالدين، لما لهذا الذنب من أثر كبير في البناء الاجتماعي الإسلامي، فإنه لو شاع عقوق الوالدين في مجتمع من المجتمعات فإنه دون شك ستتفكك روابط هذا المجتمع، وستتحطم الأواصر التي من شأنها تدعيم البناء الاجتماعي الإسلامي، فمن هنا كان التشديد الإلهي من خلال النصوص القرآنية على عظم هذا الذنب من ناحية، والتشديد النبوي من خلال الأحاديث الشريفة على عظم هذا الذنب أيضاً؛ لأن عواقب هذا الذنب لا تنحصر في الفرد فحسب، بل إنها تطل العمران الاجتماعي بأسره.

#### 4.4.2 الحث على حسن المعاملة في الإسلام

حث هذا الدين الكريم على حسن التعامل في الإسلام، وذلك من خلال منظومة أخلاقية متنوعة ومتكاملة، وذلك من أجل إشاعة المحبة بين أفراد المجتمع المختلفة، ومن ثم تدعيم البناء الاجتماعي الإسلامي، وهذا الحث كان من خلال الآيات القرآنية الكريمة التي تناولت موضوع الترغيب بالأخلاق، علاوة على أنها كانت في بعض الأحيان تأمر أمراً صريحاً بإتباع الخلق، ومن ذلك قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ۗ﴾ (٢٩) إِنَّ رَبَّكَ بِبَسْطِ الرِّزْقِ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴿٣٠﴾ (الإسراء، 29 . 30).

تناولت هذه الآية الكريمة مسألة الاعتدال في النفقة أو الكرم، فإن على الإنسان أن يكون وسطاً في كرمه، فلا هو ينفق كل ما لديه، ولا يكون بخيلاً، إذ يروى أن هذه الآية الكريمة قد نزلت في النبي . صلى الله عليه وسلم . حين بعثت امرأة غلاماً إليه تسأله شيئاً، فقال للغلام: ليس عندي شيء، فلما رجع الغلام إلى المرأة قالت له: أسأله قميصه الذي يلبسه، فلما عاد الغلام إلى الرسول الكريم . صلى الله عليه وسلم . سأله قميصه، فأعطاه إياه<sup>(1)</sup>، فنزلت هذه الآية تبين للنبي الكريم أن على الإنسان أن

١. الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد (1411هـ). أسباب نزول القرآن، تحقيق: كمال بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت . لبنان، الطبعة الأولى، ص: 294.

يتصف بالاعتدال في الإنفاق، فلا يتكرم بكل ما لديه، ثم تصيبه الملامة على ما صنع، ويقعد دون مال بسبب إفراطه في الكرم<sup>(1)</sup>.

بيّنت الآية الكريمة أن الاقتصاد المتوسط بين الإسراف والتقتير هو المحمود؛ لأن الإسراف مذموم، والتقتير مذموم أيضاً، لذا يتوجب على الإنسان أن يكون معتدلاً بين هذا وذاك، وفي جميع الأحوال فإن الرزق بيد الله تعالى، وهو المقرر لأحوال عباده<sup>(2)</sup>.

ويقول سبحانه وتعالى أيضاً في موضع آخر من السورة نفسها: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الرِّزْقَ إِنَّمَا كَانَ فَرْحَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ (الإسراء، 32).

اشتملت هذه الآية الكريمة على نهي صريح منه سبحانه وتعالى عن فاحشة الزنا، بل إن النهي لم يكن عن الفاحشة فحسب، بل تعداه إلى أن نهى سبحانه وتعالى من الاقتراب من هذه الفاحشة بمجرد الاقتراب، فكل ما يؤدي إلى الزنا فهو حرام، هذا معنى قوله: ولا تقربوا الزنا<sup>(3)</sup>.

وجاء هذا النهي الإلهي الكريم عن الاقتراب من فاحشة الزنا لما لها من عواقب وخيمة على المجتمع، ولما لها من آثار مدمرة على البناء الاجتماعي، فهي دون شك تؤدي إلى تفكيك أواصر الترابط الاجتماعي بين أفراد المجتمع المختلفة، ومن هنا جاء النهي الإلهي الكريم حفظاً لهذا العمران الاجتماعي من التعرض لأي شيء من أسباب التفكك الاجتماعي.

ولو أننا حاولنا أن نستقصي كافة المواضع القرآنية التي دعت إلى حسن المعاملة، وطيب الخلق بين أفراد المجتمع لطلنا بنا الحديث، فنكتفي بهاتين الآيتين، كما نشير إلى أن أكثر الآيات القرآنية التي دعت إلى حسن الخلق، وطيب المعاملة بين الناس من شأنها أن تحافظ على هذا المجتمع سليماً من كافة أشكال التفكك الاجتماعي الذي

<sup>1</sup>. السمعاني. تفسير القرآن، ج: 3، ص: 236.

<sup>2</sup>. الزمخشري. الكشاف، ج: 2، ص: 663.

<sup>3</sup>. الشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله (ت: 1250هـ). فتح القدير، دار ابن كثير، ودار الكلم الطيب، دمشق. سوريا، وبيروت. لبنان، الطبعة الأولى، 1414هـ، ج: 3، ص:

يمثل الخطر الأكبر المهدد لل عمران الاجتماعي سواء في المجتمع الإسلامي أم في  
سواء من المجتمعات البشرية الأخرى.

#### 5.4.2 الابتعاد عن العنف في المجتمع الإسلامي

إن هذا العمران الاجتماعي في الإسلام يتطلب كثيراً من الجهد كي يبقى متيناً  
متماسكاً مترابطاً بعيداً عن أسباب التزعزع والتفكك والانحلال، ومن بين هذه الأسباب  
ما هو متعلق بالعنف بين أفراد المجتمع، سواء أكان هذا العنف بين فرد وآخر أم بين  
جماعة وأخرى، ففي واقع الحال سيؤدي هذا العنف إلى دمار العمران الاجتماعي،  
وخراب المنظومة الاجتماعية التي يسعى الإسلام إلى إبقائها على حال من التوازن  
والتماسك.

ومن هنا فقد حثّ القرآن الكريم على منظومة من الأخلاق الإسلامية الحسنة التي  
من شأنها أن تبعد المجتمع عن العنف، وهذه الأخلاق تتمثل بالعفو والتسامح والكلمة  
الطيبة، والدفع بالتي هي أحسن، بل تعدى الأمر ذلك إلى أن ينهى القرآن الكريم نهياً  
صريحاً عن الوقوع في أكثر مظاهر هذا العنف شيوعاً، وأبعدها أثراً في المجتمع، ألا  
وهو القتل، ولقد وردت الآيات الكثيرة التي تنهى المسلمين عن القتل، يقول سبحانه  
وتعالى مثلاً: ﴿ وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ  
وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ١٣٠ ﴾ (النساء، 93).

بيّنت الآية الكريمة الوعيد الشديد من الله سبحانه وتعالى لمن يقدم على اقتراف ذنب  
قتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، فإنه إذا قتل مؤمناً متعمداً فإن له نار جهنم خالداً  
فيها، والخلود هاهنا يُقصد به طول المكث في النار وليس الخلود التأييدي؛ لأن هذا  
في حق الكفار، أما المؤمنون فلا تأييد لهم في نار جهنم، وتوعده سبحانه وتعالى أيضاً  
بأنه غضب عليه، ولعنه، وأعد له عذاباً عظيماً<sup>(1)</sup>.

<sup>1</sup>. أبو حيان. البحر المحيط، ج: 4، ص: 27 . 28.

وقال سبحانه وتعالى في موضع آخر من كتابه العزيز: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيهِ سُلْطَانًا فَلَا يَسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا﴾ (٣٣) (الإسراء، 33).

لقد تحدثت الآية القرآنية الكريمة أيضاً في هذا الموضع عن النهي الصريح عن القتل، فقد بيّن سبحانه أن الأنفس عموماً معصومة عن القتل، ولا يحل لأحد أن يعتدي على حرمة هذه النفوس التي حرّمها سبحانه وتعالى إلا بالحق، وإن من يقتل مظلوماً فإن الله سبحانه وتعالى يمنح وليه سلطاناً غير أنه لا يتوجب عليه الإسراف في القتل، وإنما يكتفي بالقصاص في ذلك<sup>(1)</sup>.

إن هذه المواضع وغيرها من المواضع الأخرى التي بيّن فيها سبحانه وتعالى حرمة الاعتداء على النفس التي حرم الله إلا بالحق تبين حرص الإسلام على خلو المجتمع الإسلامي من كافة أشكال الجريمة؛ لأن هذه الجرائم إن وجدت في المجتمع فإنها دون شك ستؤدي إلى زعزعة العمران الاجتماعي، ففقدان الأمن والأمان لا شك سيؤدي إلى خراب المجتمع، وهلاك البناء الاجتماعي، ومن هنا كان التأكيد الرباني من خلال نصوص القرآن الكريم على حرمة قتل النفس التي حرم الله إلا بالحق.

ولم يكن النهي عن أنماط العنف المختلفة مقصوراً على القتل فحسب؛ بل إنه سبحانه وتعالى قد نهى أيضاً عن بعض المظاهر الأخرى للعنف، والتي من شأنها أيضاً أن تدمر العمران الاجتماعي من خلال هذا العنف، ومن بينها الحراية، فقد قال سبحانه وتعالى في الحراية: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خَلْفٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (المائدة، 33).

تحدثت الآية الكريمة عن حد الحراية في الإسلام، وقد بيّن سبحانه أن من يفعل هذا الذنب لا بد له من عقوبة مخصصة، تبدأ بالقتل والصلب، ثم بقطع الأيدي والأرجل من خلاف، ثم النفي من البلاد، وهذه العقوبة تتدرج بناء على طبيعة الفساد الذي وقع

<sup>1</sup>. القنوجي، أبو الطيب محمد صديق خان بن الحسن بن علي (ت: 1307هـ). فتح البيان في مقاصد القرآن، عني بطبعه وقدم له وراجعته: عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، المكتبة العصرية، صيدا - بيروت. لبنان، الطبعة الأولى، 1412هـ، 1992م، ج: 7، ص: 387.



من هذا المذنب، فإن كان قتل وأخذ المال، قُتِلَ وصُلِبَ، وإن كان قتل فحسب، قُتِلَ، وهكذا حسب جريمته تكون العقوبة<sup>(1)</sup>.

وهذا الحد الذي وضعه الله سبحانه وتعالى صراحة ضمن آيات كتابه العزيز ما هو إلا دليل على عظم هذا الذنب أولاً، وأثره الكبير في المجتمع ثانياً، فمن هنا جعل الله سبحانه وتعالى عقوبة هذا الذنب مغلظة، وذلك لأثرها الكبير في تقويض العمران الاجتماعي، وزعزعة أركان هذا البناء الذي يسعى الإسلام جاهداً لإبقائه متيناً ثابتاً. ومن خلال ما سبق كله يمكننا أن نرى أن الإسلام قد حاول بكافة السبل والطرائق الوقوف في وجه العنف الذي يؤدي إلى خراب العمران الاجتماعي في المجتمع الإسلامي، وذلك من خلال أحكامه الشرعية الصارمة، وهي الحدود التي لا جدال فيها من الله سبحانه وتعالى، وبمكنا في نهاية هذا المبحث أن نبين أن العمران الاجتماعي في الإسلام قائم على الركائز والأسس الآتية:

أولاً: ركيزة الأسرة، وهي الركيزة الأساسية والرئيسية في البناء الاجتماعي في الإسلام، لما لها من دور كبير في تطوير المجتمع، وإخراج أبناء صالحين من شأنهم رفد هذا العمران الاجتماعي، ومن شأنهم تحمل المسؤوليات الاجتماعية المختلفة. ثانياً: وانطلاقاً من أهمية هذه الأسرة، ومكانتها في العمران الاجتماعي في الإسلام، فقد جاءت النصوص القرآنية تحث على ترابط هذه الأسرة، وتمنع كافة أشكال التفكك التي قد تؤدي بها إلى الانحلال، ومن ثم يكون أثرها سلبياً في المجتمع، فأوجب سبحانه وتعالى بر الوالدين، وحرّم عقوقهما؛ لأن في ذلك حماية لهذه الأسرة من التفكك المدمر للمجتمع.

ثالثاً: دعا الإسلام كافة أفراد المجتمع الإسلامي بالتحلي بالأخلاق الحسنة التي من شأنها أن تدفع المسلم إلى حسن المعاملة مع الآخرين في المجتمع الإسلامي الكبير، ومن ثم فإن هذه المعاملة الحسنة تسهم بشكل مباشر في توطيد العلاقات الاجتماعية، وجعل المجتمع أكثر تماسكاً وترابطاً.

---

<sup>1</sup>. ابن جزري، أبو القاسم محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله (ت: 741هـ). التسهيل لعلوم التنزيل، تحقيق: عبد الله الخالدي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت. لبنان، الطبعة الأولى، 1416هـ، ج: 1، ص: 230.

رابعاً: ومن ناحية أخرى فإن الإسلام قد ارتكز في بنائه الاجتماعي على نبذ العنف، وإنهاء كافة السبل التي قد تؤدي إليه، سواء أكان هذا العنف قتلاً أم غير ذلك، لأنه لو شاع العنف في المجتمع الإسلامي لكان العمران الاجتماعي متزعزِعاً مضطرباً، ومن هنا فقد ركز التشريع الإسلامي على التخلص من كافة أسباب هذا العنف ومظاهره.

## الفصل الثالث

### الآثار المترتبة على عمران الأرض

إن العمران أمر مهم في شريعتنا الإسلامية، دل على ذلك ما رأيناه في الفصل الثاني من بيان لأهم ملامح العمران في هذه الأرض، علاوة على أننا قد بيّنا أن العمران بكافة أشكاله يمثل ملمحاً من ملامح إقامة الاستخلاف في الأرض، ومن هنا فلا بد من أمور تترتب على عمران الأرض.

والناس بالنسبة للعمران ينقسمون إلى فئتين: فئة تعمر أرض الله تعالى بكافة أشكال هذا العمار، مادياً، واجتماعياً، وفئة أخرى ضالة تهدم ما يعمره الناس، وتسعى في الأرض خراباً، ومن هنا فإن هاتين الفئتين ليستا سواء أمام الله سبحانه وتعالى، ومن هنا فقد بيّنت آيات القرآن الكريم ما يترتب على عمران الأرض، وما يترتب على خرابها، وما أعده الله سبحانه وتعالى لأهل العمران، وما توعده سبحانه وتعالى لأهل الخراب والفساد، وهذا الفصل سيسلط الضوء على كافة هذه الملامح، وسيحاول إبراز الثواب الذي أعده سبحانه وتعالى لمن يقوم بعمارة الأرض، والعقاب الذي توعده سبحانه وتعالى لمن يقوم بخراب الأرض والفساد فيها.

### 1.3 الآثار الإيجابية المترتبة على عمارة الأرض

ويبدأ الباحث حديثه عن الفئة الضالة الفاسدة التي تسعى في الأرض خراباً لتهلك الحرث والنسل، وهذه الفئة لها حسابها الشديد عند الله تعالى على ما سنوضح، هذا علاوة على العقاب الدنيوي الذي وضعه الشرع الكريم للمفسدين في الأرض.

### 1.1.3 مفهوم الفساد في الأرض

يبين الجرجاني مفهوم الفساد قائلاً: "زوال الصورة عن المادة بعد أن كانت حاصلة، والفساد عند الفقهاء ما كان مشروعاً بأصله غير مشروع بوصفه، وهو مرادف للبطلان عند الشافعي<sup>(1)</sup>، وقسم ثالث مباين للصحة والبطلان عندنا"<sup>(2)</sup>.

فالفساد عنده إذن معتمد على زوال الصورة أو الهيئة الأصلية للشيء، فإذا زالت هذه الصورة فإن الشيء يعد فاسداً، وهو عند بعض الفقهاء قد يصل إلى مرتبة البطلان كما رأينا.

ويعرف لنا المناوي الفساد تعريفاً أكثر وضوحاً مما هو الحال عند الجرجاني، وذلك إذ يقول: "الفساد: انتقاض صورة الشيء... وهو . خروج الشيء عن الاعتدال قليلاً كان الخروج أو كثيراً، ويضاده الصلاح، ويستعمل في النفس والبدن والأشياء الخارجة عن الاستقامة"<sup>(3)</sup>.

اشتمل كلام المناوي السابق على ما يلي: أولاً: الفساد تغير طارئ على الشيء، ثانياً: قد يصل هذا الفساد إلى انتقاض صورة هذا الشيء، ثالثاً: ما يعد قليلاً فاسداً فإن كثيره فاسد أيضاً، رابعاً: يدخل الفساد في البدن، أو ما سواه من الأشياء، خامساً: الفساد نقيض الصلاح.

والفساد أيضاً ظلم، بل إنه أعم من الظلم؛ لأن الظلم نقص حق الشيء، فمن سرق فقد ظلم، لأنه نقص المال، والفساد أعم من ذلك، فهو يدخل فيه اللغو واللعب، والابتداع وغيرها، فهو إذن أعم وأشمل من الظلم<sup>(4)</sup>.

فالفساد إذن خروج الشيء عن صورته التي هو عليها، والإفساد إخراج للشيء عن صورته، ونقله إلى صورة جديدة مغايرة للصورة التي كان عليها، ومن هنا فإن مفهوم الفساد إخراج الشيء عن صورته التي يفترض أنه عليها، ومن هنا فإن الفساد في

---

<sup>1</sup>. انظر: الدميري، أبو البقاء محمد بن موسى بن عيسى (2004م). النجم الوهاج في شرح

المنهاج، تحقيق: لجنة عالمية، دار المنهاج، جدة - السعودية، الطبعة الأولى، ج: 8، ص: 417.

<sup>2</sup>. الجرجاني. التعريفات، ص: 166.

<sup>3</sup>. المناوي. التوقيف على مهمات التعاريف، ص: 260.

<sup>4</sup>. الكفوي. الكليات، ص: 692.

العمران تحويل له عن صورته الأساسية، فتغيير الأخلاق وتبديلها والدعوة إلى الأخلاق المنحرفة ما هو إلا إفساد لتلك الأخلاق، وهدم الصروح والمباني وغيرها إفساد، لأنه تحويل لتلك الصروح والمباني عن صورتها الأساسية التي وُضعت لها، وكل ذلك يمكن أن ينطبق على سائر أشكال العمران التي ذُكرت في الفصل السابق.

### نم الله سبحانه وتعالى للمفسدين:

وانطلاقاً مما سبق كله فإن الفساد في الأرض أمر مذموم عرفاً، محرم شرعاً، ولقد وصف الله سبحانه وتعالى المفسدين بأبشع الوصف، ونعتهم بأسوأ النعوت؛ لأنهم حولوا صورة الشيء الصالح عن صورته، وجعلوه فاسداً، وفيما يلي بيان لأهم الصفات والنعوت التي نعت الله سبحانه وتعالى بها المفسدين.

إن أول هذه الصفات والنعوت للمفسدين في الأرض أنهم لا يحبهم الله تعالى، لما يرتكبونه من فساد في الأرض، يقول سبحانه وتعالى: ﴿كَلِمًا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ (المائدة، 64).

تحدثت هذه الآية الكريمة عن اليهود وأنهم أهل فساد في الأرض، وبيّن سبحانه وتعالى بأنه لا يحب المفسدين، ومن هنا فإنه يعاقبهم عقاباً شديداً<sup>(1)</sup>.

وفي موضع آخر يقول سبحانه وتعالى في قصة قارون: ﴿وَأَبْتَعْ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ (القصص، 77).

وأشار المفسرون إلى أن المقصود بـ "إن الله لا يحب المفسدين"، أي: لا يحب أعمال المفسدين، ولا يقربهم إليه، وهي صفة أخرى لأهل الفساد<sup>(2)</sup>.

أما الصفة الثانية التي وصفها الله سبحانه وتعالى المفسدين في كتابه العزيز أنهم يسلكون سبيل الضلالة، ولا يسلكون سبيل الإصلاح، يقول سبحانه: ﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَىٰ

1. الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد. تفسير الراغب الأصفهاني، تحقيق ودراسة:

هند بنت محمد بن زاهد سردار، كلية الدعوة وأصول الدين، جامعة أم القرى، مكة المكرمة .

السعودية، الطبعة الأولى، 1422هـ، 2001م، ج: 5، ص: 396.

2. الماوردي. النكت والعيون، ج: 4، ص: 268.

ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتَمَمْنَهَا بِعَشْرِ فِتْمَمٍ مِثْقَلُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ أَخْلَفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٤٢﴾ (الأعراف، 142).

إذ يمكننا أن نستنتج من وصية موسى . عليه السلام . لأخيه هارون . عليه السلام . أن سبيل الصلاح تختلف عن سبيل الفساد، وأن على المؤمن إيماناً حَقاً أن يتبع سبيل الصلاح لا سبيل الفساد، كما أن عليه ألا يطيع أهل الفساد فيما يأمرون<sup>(1)</sup>. وهناك صفة أخرى بينها القرآن الكريم لأهل الفساد في الأرض، وهي أنهم عصاة لله تعالى، فهذا الوصف هو الذي وُصِفَ به فرعون لعنه الله، يقول سبحانه: ﴿إِنَّكَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلَ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾﴾ (يونس، 91).

فقد جعل سبحانه وتعالى وصف فرعون بأنه عصاه بالدعوة إلى تأليهه من قبل الناس، وبأنه أضاع التوبة من يده، جنباً إلى جنب بالفساد في الأرض، وهذا ذم لفرعون أيضاً علاوة على صفته بالعلو والاستكبار عن اتباع الحق<sup>(2)</sup>.

ومن ذم الله سبحانه وتعالى للمفسدين ما يكون من بغض الناس لهم، سواء أكان هؤلاء الناس أنبياء أم غيرهم، يقول سبحانه وتعالى: ﴿قَالَ رَبِّ انصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ ﴿٣٠﴾﴾ (العنكبوت، 30).

إذ كان عند قوم لوط كثير من الصفات السيئة التي تعد فساداً للسريرة الطيبة التي أوجدها الله سبحانه وتعالى في الأرض، كالصفير، واللواط، والسحاق، واللعب بالنرد، ولبس الأصباغ، والتشبه بالنساء، وتشبه النساء بالرجال، وغيرها من مظاهر الفساد، ومن هنا خسفهم الله سبحانه وتعالى<sup>(3)</sup>، وجعل سيدنا لوطاً يدعو عليهم بهذا الدعاء، وأذكى في نفس نبيهم البغضاء والكراهية لهم لما يأتونه من فاحشة وفساد ومنكر.

ومن ناحية أخرى فقد بين سبحانه وتعالى بعض الأفعال التي يقوم بها أهل الفساد في الأرض، يقول سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضِعُّ مِنْهُ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يُدْبِحُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَهُمْ إِنَّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾﴾ (القصص، 4).

1. الزمخشري. الكشاف، ج: 2، ص: 151.

2. انظر: الجوزي. زاد المسير، ج: 2، ص: 348.

3. القرطبي. الجامع لأحكام القرآن، ج: 13، ص: 343.

فمن أشكال الفساد في الأرض الاستعلاء بغير الحق، واستضعاف الناس، وأكل حقوقهم، وسومهم العذاب بالقتل والاستعباد، كما كان الحال عند فرعون لعنه الله، فقد استكبر في هذه الأرض، وفرّق الناس جماعات متناحرين، واستعلى عليهم، وأخذ يقتل الأولاد وتذبيح الرجال، واستبقاء النساء للخدمة، كل هذا كان من مظاهر الفساد في الأرض، فصفة المفسد التكبر والاستعلاء، ثم إن تكبره واستعلاؤه يملّي عليه فعل جميع هذه الأفعال المنكرة والمحرمة<sup>(1)</sup>.

وبعد أن ذكر الباحث عدداً من الصفات الذميمة، والنعوت القبيحة التي وصف الله سبحانه وتعالى بها المفسدين، فإنه لا شك بأن من يبغضه الله سبحانه وتعالى فإن له العقاب الشديد على ما كان منه من فساد في الأرض، والصفحات المقبلة سيبين الباحث فيها ذلك العقاب الشديد، والعقوبة الوافية التي جعلها الله سبحانه وتعالى للمفسدين في الأرض.

### 2.1.3 عقوبة المفسدين

أعد الله سبحانه وتعالى للمفسدين في الأرض عذاباً أليماً يوم القيامة في نار جهنم، يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ﴾<sup>(205)</sup> وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَيْسَ إِلْمَهُادُ<sup>(206)</sup> ﴿ (البقرة، 205).

تبين الآية الكريمة أن من المفسدين في الأرض من يقوم بإهلاك الحرث وهو الزرع، والنسل، وهو ما في بطون الأنعام والأنعام نفسها، وإذا نهاه شخص عن فعل هذا أخذته العزة بالإثم، واستكبر على الحق، فبيّن سبحانه وتعالى أن جهنم حسبه، أي: كفاه عذاب جهنم جزاءً يوم القيامة على ما كان منه من أمر الفساد في هذه الأرض<sup>(2)</sup>. ومن ناحية أخرى فإن الحكم الدنيوي أيضاً قاسياً صارماً على أولئك المفسدين في الأرض، والساعين فيها خراباً، يقول سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ،

<sup>1</sup>. البغوي. معالم التنزيل، ج: 3، ص: 521.

<sup>2</sup>. الواحدي. الوسيط في تفسير القرآن المجيد، ج: 1، ص: 310 . 311.

وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِّنْ خَلْفٍ أَوْ يُنْفَوْا  
مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٣﴾ (المائدة، 33).

إذ تشتمل الآية الكريمة على حديث عن المفسدين في الأرض بقطع الطريق وتخويف الناس وترويعهم، وأخذ أموالهم بالباطل بغير حق، فالحكم الوارد في الآية الكريمة على مثل هؤلاء على التخيير بالنسبة للإمام أو الحاكم المسلم، فله أن يقدر مقدار الفساد، ويقدر العقوبة بناء على ذلك، وقيل إن العقوبة على الترتيب، فإن أخذ المال وقتل، يُقتل ويصلب، وإن قتل ولم يأخذ المال قُتل فحسب، وإن أخذ المال ولم يُقتل، قطعت يده ورجله من خلاف، وإن كان أمره تخويفاً وترويعاً للناس، فإنه يُنفى من الأرض<sup>(1)</sup>.

ظهر لنا من خلال الآية السابقة هذا الحكم المغلظ المشدد على الذي يقع في هذه الجريمة المتمثلة بالفساد في الأرض بكافة أشكاله، سواء أكان هذا الفساد قتلاً، أم سلباً للمال، أم تخويفاً وترويعاً، فإن هذه الأحوال كافة أخذت حكمها الرادع في الدين الإسلامي وفق نص القرآن الكريم، وذلك من أجل حماية هذا المجتمع من كافة أشكال التفكك والخراب التي قد تؤدي إلى دمار لهذا المجتمع لولا هذه الأحكام الإلهية التي نظمت سير العلاقات المختلفة بين عناصر المجتمع الإسلامي كافة.

ومن عقوبة المفسدين أن الله سبحانه وتعالى يعجل لهم عذابهم وعقابهم في الحياة الدنيا قبل يوم القيامة، هذا ما كان مع سائر الأمم التي عاندت أنبياءها، وظلمت نفسها، كما حصل مثلاً مع فرعون عليه لعنة الله، يقول سبحانه وتعالى في بيان أمره:

﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَظَلَمُوا بِهَا فَأَنْظَرْنَا كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٣٣﴾ ﴾

(الأعراف، 103).

فمعنى قوله: "ظلموا بها"، أي ظلموا أنفسهم، ثم عقب سبحانه وتعالى بقوله: فانظر كيف كان عاقبة المفسدين، على اعتبار معنى الفساد في الظلم، إذ لما ظلم فرعون وملؤه أنفسهم كانوا بهذا الظلم مفسدين في هذه الحياة، فاستحقوا العقاب الشديد من الله سبحانه وتعالى<sup>(2)</sup>.

1. السمعاني. تفسير السمعاني، ج: 2، ص: 34.

2. ابن عطية. المحرر الوجيز، ج: 2، ص: 435.



وفي نهاية هذا المبحث يشير الباحث إلى ما يلي:

- 1 . إن كلمة الفساد في الأرض مصطلح واسع يدخل تحته كافة أشكال الأفعال المنكرة والبغيضة لدى الناس، من قتل، وسلب، ونهب، وتخويف، وترويع، واستكبار في الأرض، فجميع هذه الأفعال فساد في الأرض يستحق صاحبها العذاب والعقاب.
- 2 . أعد الله سبحانه وتعالى للمفسدين في الأرض عذاباً شديداً يوم القيامة في نار جهنم نظراً لذنبهم العظيم.
- 3 . ولم يقتصر الحال في عقاب المفسدين في الأرض على يوم القيامة فحسب، بل إنه سبحانه وتعالى عجل لهؤلاء المفسدين عقابهم في الحياة الدنيا، فإن كانوا مسلمين فإن عليهم حكم الحاكم المسلم، سواء بالقتل، أو بالصلب، أو بتقطيع الأيدي والأرجل من خلاف، أو بالنفي من الأرض، وإن كانوا غير مسلمين فإله يتولى عقابهم كفرعون ومن شابهه من الكفار الجاحدين، حيث سلط الله سبحانه وتعالى عليهم عذاباً أليماً قبل يوم القيامة.

### 2.3 ثواب المصلحين في الأرض

وكما توعد الله سبحانه وتعالى للمفسدين عذاباً أليماً، ووصفهم بأسوأ الصفات، ونعتهم بأشد النعوت، وأعد لهم من العذاب ما أعد في الدنيا والآخرة، فكما كان هذا هو الحال عند المفسدين في الأرض، فإن الحال عند المصلحين كان غير ذلك، فقد امتدحهم الله سبحانه وتعالى ووصفهم بالصفات الحسنة، كل ذلك ثواباً لهم على ما كان منهم من إصلاح في الأرض، ووقوف في وجه الفساد، وهذا ما سيتناوله الباحث بإذن الله تعالى في هذا المبحث.

### 1.2.3 مفهوم الإصلاح في الأرض

إن أول فكرة يتطرق إليها الباحث في بيان مفهوم الإصلاح أن الإصلاح قائم في أساسه على التوسط، فلا غلو ولا مغالاة، بل إن الأمر في حال اعتدال وتوسط، فمثلاً

في حال الخصومات يكون المصلح متوسطاً بين الطرفين، لا يميل إلى هذا دون هذا فيقع بذلك في الإفساد والظلم، بل يكون وسطاً بين الطرفين<sup>(1)</sup>.

إن هذا المعنى الذي أشار إليه السيوطي في معجمه يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالحال الذي وصفه سبحانه وتعالى لأمة الإسلام، حيث قال سبحانه: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِنَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعِ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقْبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١٤٣﴾﴾ (البقرة، 143)، فالوسطية والتوسط والاعتدال هو أساس هذه الأمة، وهي الميزة التي تميزت بها الأمة الإسلامية عن سائر الأمم.

ويأتي الإصلاح ضد الإفساد، كما أن الصلاح ضد الفساد، والصلاح استقامة الشيء على وجهه التام<sup>(2)</sup>، وبذلك يكون هذا المعنى قريباً جداً من المعنى الذي ذكره السيوطي، وذلك أنه بين أن الإصلاح يرتبط بالتوسط، والاستقامة ما هي إلا مظهر من مظاهر هذا التوسط.

ولا يخرج المناوي كثيراً عن هذه المعاني التي ذكرناها للإصلاح، حيث يقول: "والصلاح ضد الفساد، ويختصان في أكثر الاستعمال بالأفعال، وقبول في القرآن تارة بالفساد وأخرى بالتشبيه"<sup>(3)</sup>.

والصلاح مصدر، ولا يجوز الوصف به، فلا يقال: هذا قول صلاح، وإنما يقال هذا قول صالح، ومن المعاني التي يأتي بها الصلاح الإحسان، فيقال: أصلح أمره، أي: أحسن إليه<sup>(4)</sup>.

ومن خلال ما سبق يمكننا أن نستنتج ما يلي:

- 1 . الإصلاح ضد الإفساد، كما أن الصلاح ضد الفساد.
- 2 . يختص الإصلاح بالاعتدال والوسطية في التعامل مع الأشياء، أو في المواقف التي تختص بالإصلاح دون غيرها.

1 . السيوطي. معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم، ص: 209.

2 . القونوي. أنيس الفقهاء، ص: 91.

3 . المناوي. التوقيف على مهمات التعاريف، ص: 218.

4 . الكفوي. الكليات، ص: 560.

3 . يأتي الإصلاح بمعنى الإحسان، وهو معنى قريب جداً من المعاني السابقة. ويشير الباحث هاهنا إلى أن الفساد كما مر بنا في المبحث السابق يعني المجيء إلى الشيء الصالح بذاته أو بغيره فتفسده، أما الإصلاح فهو كما يرى الباحث وفق وجهين:

الأول: أن يأتي المرء إلى شيء فاسد بذاته فيصلحه، كبيت خرب يقوم بترميمه، أو أسرة ممزقة فيقوم بلم شملها، وهكذا، فإن الإنسان في هذه الحالة عمد إلى الشيء الفاسد بذاته فأصلحه.

الثاني: أما الوجه الثاني من وجوه الإصلاح فيختص بترك الشيء الصالح على صلاحه دون العمد إلى إفساده، فترك الشيء الصالح كما يرى الباحث صالحاً على حاله يعد إصلاحاً، والله أعلم.

### 2.2.3 امتداح الله سبحانه وتعالى للمصلحين في الأرض

وكما مر بنا في المبحث السابق فإن الله سبحانه وتعالى قد ذم المفسدين في الأرض، ووصفهم بأكثر الصفات بشاعة وقبحاً، في حين أنه سبحانه وتعالى قد امتدح المصلحين والإصلاح، ووصفهم بصفات طيبة وحسنة، وفي هذا المبحث سيبين الباحث أهم هذه الصفات التي اتصف بها هؤلاء المصلحين وفق ما ورد في كتاب الله تعالى.

ومن بين تلك الآيات التي امتدح الله سبحانه وتعالى فيها الصلح والإصلاح ما كان من أمر الزوج إذا تصالح مع زوجته على النفقة والمكوث عنده وإن كان لا يريد لها، فإن هذا الاصطلاح بينهما خير، فقد وصف الله سبحانه وتعالى هذا الصلح القائم بينهما بأنه صلح خير<sup>(1)</sup>، يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَإِنْ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُورًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ١٢٨﴾ (النساء، 128).

١. الثعلبي. الكشف والبيان، ج: 3، ص: 395.

فأول هذه الصفات التي وصف الله سبحانه وتعالى بها الصلح وأهله بأنه من طريق الخير، وهذا الخير كما نعلم اسم جامع لكل ما هو حسن، وإن كانت هذه الآية الكريمة مختصة بأمور النفقة بين الزوجين، إلا أننا يمكننا أن نستشهد بها في إطار عموم الصلح بين الناس، فقد وصف الله سبحانه وتعالى الصلح بأنه خير في عامته، وليست الخيرية مختصة فقط بأمور الزوجين دون سواها من الأمور الحياتية الأخرى.

ويقول الله سبحانه وتعالى على لسان شعيب . عليه السلام . : ﴿ قَالَ يَقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيْنَةٍ مِنْ رَبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَمْلِكُمْ إِلَى مَا أَنهَكُم عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾ (هود، 88).

جعل الله سبحانه وتعالى الإصلاح من صفات الأنبياء وأتباعهم، فقد بين شعيب . عليه السلام . لقومه أن مجيئه إليهم نبياً من عند الله تعالى لأسباب وأهداف، كان من بينها أنه يريد إصلاح شأنهم وأمرهم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ودعوتهم إلى عبادة الله سبحانه وتعالى وحده، وألا يشركوا به شيئاً، وهذا كله على سبيل الإصلاح، وقد حد شعيب . عليه السلام هذا الإصلاح باستطاعته، فقال: ما استطعت، أي أن هذا الإصلاح الذي جئت به إنما هو بقدر استطاعتي، وبإمكاناتي التي أعطيتها من الله<sup>(1)</sup>.

فالآية الكريمة السابقة تبين لنا أن هذا الإصلاح صفة الأنبياء والمرسلين من الله تعالى لهداية الناس إلى طريق الحق والصواب، وعلى المؤمن إيماناً حقيقياً أن يت رسم طريق هؤلاء الأنبياء والمرسلين، ويأخذ بأسباب الاتباع لهم؛ لأن في أخلاقهم الهداية من الله سبحانه وتعالى، وهي صفة أوجدها سبحانه وتعالى بهؤلاء المرسلين، والمؤمن الحق لا يبتغي سبيلاً غير سبيل الأنبياء الهداة الذين أرسلهم الله سبحانه وتعالى من أجل هداية الناس ودلهم على طريق الحق والصواب.

ويقول سبحانه وتعالى في موضع آخر واصفاً أهل الصلح: ﴿ فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (المائدة، 39).

<sup>1</sup> . النسفي . مدارك التنزيل، ج: 2، ص: 79.

بيّنت الآية الكريمة حكم من سرق ثم تاب، فإن الله سبحانه وتعالى يتوب عليه، ولكن هذه التوبة مشروطة بالإصلاح، وهو أن يغير في أعماله إلى الحسنى، ويعود عما اقترفه من الذنوب، ففي هذه الحالة فإن الله سبحانه وتعالى يتوب عليه ويغفر له ما بينهما من ذنب<sup>(1)</sup>.

ويمكننا أن نلاحظ أن الإصلاح في الآية الكريمة جاء مقروناً بالتوبة، فإن الإصلاح من صفة التائبين، يعني ذلك أن الإصلاح والتوبة أمران فيهما شيء من التلازم؛ لأن التوبة تقتضي أن يصلح الإنسان ما أفسده بذنبه، وبذا فإنه يكون تائباً ومصلحاً، وهي صفة تجعل الله سبحانه وتعالى رحيماً غفوراً لهذا الإنسان التائب المصلح.

ويقول الله سبحانه وتعالى أيضاً: ﴿ وَمَا يُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٤٨﴾ (الأنعام، 48).

أرسل الله سبحانه وتعالى الأنبياء والرسل من أجل تبين طريق الحق والصالح للناس، فهم مبشرون برحمة الله تعالى وغفرانه للمؤمنين، ومنذرون بعذابه سبحانه وسخطه للكافرين، وعلى الناس اتخاذ القرار، فمن آمن وهو معتقد القلب، وأصلح وهو عمل الجوارح، فإنه سبحانه وتعالى يطمئنهم بأنه لا خوف عليهم ولا هم يحزنون<sup>(2)</sup>.

فمن خلال الآية القرآنية السابقة يمكننا أن نتبين أن الإصلاح صفة أخرى من صفات المؤمنين، والعكس بالعكس، فإن المؤمن متصف بالإصلاح، لذا فإن الله سبحانه وتعالى قد وعد هؤلاء المصلحين بالطمأنينة الكاملة، فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون.

وتربط آيات القرآن الكريم بين التقوى والإصلاح في موضع آخر من كتاب الله العزيز، إذ يقول: ﴿ يَبْنَىٰ ءَادَمَ إِمَامًا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَاتِي فَمَنِ اتَّقَىٰ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٥﴾ (الأعراف، 35).

بين الله سبحانه وتعالى في الآية السابقة أن التقوى سبيل إلى الإصلاح والابتعاد عن الإفساد، وهذا شأن المتقين؛ لأن التقوى تحول بين المرء وبين الفساد، بل إن

<sup>1</sup> ابن عطية. المحرر الوجيز، ج: 2، ص: 189.

<sup>2</sup> الرازي. مفاتيح الغيب، ج: 12، ص: 537.

الإنسان إذا آمن واتفق فإن ذلك سيدفعه إلى إصلاح ما كان قد أفسده من قبل، وهذا خطاب لجميع البشر، دلنا على ذلك تصدير الآية القرآنية الكريمة بقوله: يا بني آدم (1). إن هذه الصفة . صفة التقوى . واحدة من الصفات التي أضافها الله سبحانه وتعالى لهؤلاء المصلحين في الأرض، فهم علاوة على الصفات السابقة فإنهم أهل تقوى وصلاح يبتغون به وجه الله سبحانه وتعالى.

وفي موضع آخر بين سبحانه وتعالى أن الإصلاح يكون في مقابل الإفساد، فالنهى عن الإفساد يقابله أمر بالإصلاح، وهذا ما يمكن أن نستخلصه من قول سيدنا موسى . عليه السلام . لأخيه هارون، وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَوَعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتَمَمْنَاهَا بِعَشْرِ فِتْمٍ مِيقَتُ رَبِّيَ أَزْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَارُونَ أَخْلِفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِح وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٤٢﴾ (الأعراف، 142).

وفي موضع آخر يربط سبحانه وتعالى بين العفو والإصلاح، مضيفاً صفة أخرى للمصلحين، وذلك في قوله سبحانه: ﴿ وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿٤٠﴾ (الشورى، 40).

تربط الآية الكريمة بين العفو والإصلاح في صورة الجزاء، وهو أن يكافئ المرء السيئة بالسيئة دون تعدد أو زيادة، الأمر الذي يمنح هذا الإنسان مزيداً من الخيرية المتمثلة بالعفو والإصلاح (2).

ومن خلال ما سبق كله يمكننا أن نُجمل الصفات التي اقترنت بالإصلاح، وهي:

- 1 . الإيمان.
- 2 . العفو.
- 3 . التقوى.
- 4 . التوبة.

وهذه الصفات كلها من شأنها أن تزيد في إيمان المرء، علاوة على الأجر العظيم الذي يعطيه الله سبحانه وتعالى لهؤلاء المصلحين نتيجة اتصافهم بمثل هذه الصفات الحميدة.

1. أبو حيان. البحر المحيط، ج: 5، ص: 47.

2. الإيجي. جامع البيان، ج: 4، ص: 69.

كما يتبين لنا من خلال ما سبق أن الله سبحانه وتعالى قد زاد المصلحين فضلاً منه ورضواناً، وذلك أنه وصفهم بمثل هذه الصفات الحسنة، فهم زيادة على إصلاحهم وصلاحهم قد منحهم الله سبحانه وتعالى كافة أشكال الإيمان الأخرى، من توبة، وعفو، وتقوى.

### 3.2.3 الثواب الجزيل للمصلحين في الأرض

وكما توعد الله سبحانه وتعالى المفسدين بالعقوبة الشديدة، والعذاب الأليم فإنه وعد المصلحين بالثواب الجزيل، والأمن من الخوف والفرع، وذلك إذ يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (الأنعام، 48).

فإن هؤلاء المصلحين لا يخافون حين يخاف أهل النار، ولا يحزنون عند حزنهم، وذلك بسبب الطمأنينة التي منحها إياهم الله سبحانه وتعالى لإصلاحهم وإيمانهم<sup>(1)</sup>.

وفي موضع آخر يقول سبحانه وتعالى أيضاً: ﴿ يَبْنَىٰ ءَادَمَ إِمَامًا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَأْيَاتِي فَمَنْ ءَاتَقَىٰ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (الأعراف، 35).

تؤكد الآية الكريمة على أن المصلحين لا يخافون إذا خاف الناس من الفرع والنفخ يوم القيامة، ولا يحزنون إذا حزن الناس، فإنه سبحانه وتعالى قد وعدهم بهذه الطمأنينة نتيجة ما كان لديهم من إصلاح وصلاح<sup>(2)</sup>.

في حين أن الله سبحانه وتعالى يعد بأنه سيوفي هؤلاء المصلحين أجرهم يوم القيامة، يقول سبحانه وتعالى: ﴿ وَالَّذِينَ يَمَسُّكُونَ بِالْكَذِبِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نَضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ ﴾ (الأعراف، 170).

بيّنت الآية الكريمة أن الله سبحانه وتعالى يحفظ لعباده أجرهم إذا هم أصلحوا وكان الإصلاح دأبهم، فإنه سبحانه لن يضيع أجرهم، وإن كانت هذه الآية قد نزلت في أهل

<sup>1</sup>. البغوي. معالم التنزيل، ج: 2، ص: 125.

<sup>2</sup>. انظر: الواحدي. الوسيط في تفسير القرآن المجيد، ج: 2، ص: 365.

الكتاب الذين لم يحرفوا الكتاب عن مواضعه، فإن الله لا يضيع أجر الناس كافة، وليس الحكم قصراً على أهل الكتاب دون سواهم من المصلحين<sup>(1)</sup>.

ومن خلال ما سبق كله يمكننا أن نوضح أن أجر المصلحين يتلخص بما يلي:  
أولاً: إن الله سبحانه وتعالى وعدهم بالثواب الجزيل، والأجر العظيم، وذلك أنه وصف عملهم بأنه صالح، وأنه لن يضيع أجرهم على أعمالهم الصالحة، وحين يكون هذا الوعد من الله سبحانه وتعالى فهو أصدق الواعدين، وهو أكثرهم عطاءً وإجزالاً في عطائه.

ثانياً: بين سبحانه وتعالى من جملة ذلك الجزاء والثواب أن أهل الإصلاح والصلاح لا يخافون إذا خاف الناس، ولا يحزنون إذا حزن الناس؛ لأن الله سبحانه وتعالى قد أمنهم من كافة أشكال الخوف والحزن التي يقع فيها الناس في الدنيا والآخرة.

### 3.3 فائدة العمران

تناول الباحث في الفصول السابقة كلها فوائد العمران، سواء من الناحية المادية، أم من الناحية المعنوية، غير أن هذا الموضوع في هذا الفصل سيتناول طبيعة هذه الفائدة، وكيف يمكن للإنسان أن يحصل على هذه الفائدة، وهل النواحي المادية في العمران هي وحدها التي تحدد طبيعة الفائدة، كل هذه الأمور سيحاول الباحث توضيحها في هذا المبحث بإذن الله تعالى.

#### 1.3.3 لا فائدة للعمران إذا لم يكن أهله على دين الحق

إن العمران ملمح من ملامح التطور الحضاري، والتطور البنائي عند الإنسان، غير أن هذا التطور قد يفقد كافة أشكاله النفعية، ويصير لا فائدة منه إذا كان أصحاب هذا العمران على دين غير دين الحق، إذ إن الله سبحانه وتعالى سيجعل هذا العمران وبالاً على أصحابه، ثم إنهم لن يستفيدوا منه شيئاً، يقول سبحانه وتعالى مبيناً موقف قوم

<sup>1</sup>. انظر: الجوزي. زاد المسير، ج: 2، ص: 166.



ثمود من عمرانهم ونحتهم بيوتهم في الصخر، وفخرهم بهذا، يقول: ﴿وَتَنَحُّونَ مِنَ الْجِبَالِ  
يَوْمًا فَرِهِينَ﴾ (الشعراء، 149).

كان قوم صالح . عليه السلام . يتخيرون المواضع الطيبة والحسنة في نحت البيوت  
في الجبال، إذ كانوا يقصدون بعضها دون بعض، لما لهذه الجبال من ميزات في  
النحت، وكان هذا التخيير يؤدي إلى افتخارهم وخيلائهم بما هم عليه من نعمة الله  
تعالى غير أنهم لا يعبدونه حق عبادته، بل إنهم كانوا معاندين لنبيهم صالح . عليه  
السلام . فكان عاقبتهم أن دمرهم الله سبحانه وتعالى دون أن يفيدهم عمرانهم هذا  
شيئاً<sup>(1)</sup>.

وكان قوم ثمود ينحتون هذه البيوت في الجبال بكل نشاط واقتدار، وهو معنى من  
معاني "فارهيين"، كما كانوا يمتثلون للأمر ببناء هذه البيوت، فتخرج على أحسن صورة،  
غير أن هذا النشاط، وذلك الامتثال لم يغن عنهم شيئاً من عذاب الله تعالى، ولم تكن  
بيوتهم ونحتهم لينفعهم في حياتهم الدنيا والآخرة<sup>(2)</sup>.

إن هذا العمران الذي اشتهر به قوم صالح . عليه السلام . لم يكن لينفعهم أمام الله  
تعالى، وذلك بسبب كفرهم وعنادهم، إذ الأولى بهم أن يطيعوا الله سبحانه وتعالى،  
ويمتثلوا وأوامر نبيه الكريم المرسل إليهم، غير أن هذا الأمر لم يحصل منهم، ومن هنا  
كانت عاقبتهم ذلك العذاب الشديد الذي أحاق بهم بسبب كفرهم وعنادهم، ولم ينفعهم  
في ذلك عمرانهم ولا نحتهم ولا أي شيء، ولو أنهم اتبعوا رسولهم لكان خيراً لهم.

ولا يقتصر الحال على العمران المادي في خرابه إذا كان أهله ليسوا على دين  
الحق، بل إن ذلك يشمل كافة أشكال العمران الأخرى، فهذه سبأ شاهدة على ما كان  
من خرابها بعد أن بطرت معيشتها، وكفرت بأنبياء الله تعالى، فأرسل الله سبحانه  
وتعالى عليهم سيلاً دمر أهم مصادره الاقتصادية، فخرّب العمران الاقتصادي لديهم،  
يقول سبحانه وتعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكِنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ  
وَاشْكُرُوا لَهُ، بَلَدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبُّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتِ

1. الثعلبي. الكشف والبيان، ج: 7، ص: 176.

2. الزمخشري. الكشاف، ج: 3، ص: 328.

أَكْلِ حَمَاطٍ وَأَقْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾ ذَلِكَ جَزَاءُ الَّذِي كَفَرُوا وَهَلْ يُجْزَى إِلَّا الْكُفُورَ ﴿١٧﴾ ﴿سبأ﴾  
17 . 15).

كانت سبأ تعيش في أيسر أحوالها الاقتصادية، وكان بناؤها الاقتصادي والزراعي متيناً قوياً، حتى إنهم كانوا يعيشون في جنان في واديهم، وكانت الثمرات تأتيهم من كل جانب، وكتب الله لهم الرزق الوفير، والخير العميم، غير أنهم كفروا بأنعم الله، إذ روي أنه سبحانه وتعالى قد أرسل إليهم ثلاثة عشر نبياً، فكفروا بهم جميعاً، فكان العقاب الرباني شديداً أليماً، إذ أرسل عليهم سيلاً شديداً، حتى قيل إنه قد ملأ الوادي، فغرق من غرق، وهرب من هرب، ودمر هذا السيل محاصيلهم، وقراهم، وبساتينهم، وسائر مصادر الاقتصاد عندهم، وما كان ذلك إلا بسبب أنهم كفروا بالله تعالى، وأبوا الامتثال لأوامر أنبيائه<sup>(1)</sup>.

كان السبب الكامن وراء ما حل بأهل سبأ من عذاب شديد، ودمار عظيم، وخراب عارم ما كانوا فيه من إعراض عن أمر الله تعالى، إذ إن إعراضهم هذا أدى إلى غضب الله سبحانه وتعالى عليهم، ثم أرسل عليهم العذاب الشديد، ودمرهم تدميراً<sup>(2)</sup>.  
ومن خلال ما سبق فإن الباحث يشير إلى أن الله سبحانه وتعالى قد حذر عباده من أن تأخذهم العزة بالإثم، فيظنون أنهم بعمرانهم المادي، والمعنوي قد فاقوا طاعة الله تعالى، وأنهم لم يعودوا مطالبين بهذه الطاعة، كل إن هذه الطاعة هي السبيل الوحيد لدوام نعمة الله تعالى على الإنسان، كما أنها هي السبيل الوحيد لحفظ نعمته سبحانه وإتمام العمران على أتم وجه، ولقد كان في النماذج القرآنية السابقة خير مثال على ما كان من أمر العصاة والمخالفين لدين الله تعالى، فكان ما كان من تدميرهم، وإهلاكهم إهلاكاً عظيماً.

كما يظهر لنا من خلال ما سبق كله أن الإنسان لا بد له من اتباع سبيل الحق، وأن هذه المظاهر العمرانية من مباني، واقتصاد، ورخاء، وقوة، وغيرها ما هي إلا مظاهر سطحية يسهل تحويلها إذا أراد الله سبحانه وتعالى ذلك، وإنه سبحانه وتعالى يحول هذه النعم ويدمرها ويدمر عمرانها وبنائها إذا أعرض الناس عن دين الحق،

1. ابن عطية. المحرر الوجيز، ج: 4، ص: 414.

2. السمين الحلبي. الدر المصون، ج: 9، ص: 171 . 172.

واتبعوا سبيل الباطل، فإن ذلك يكون سبباً وجيهاً لوقوعهم في المهلكة التي حذر الله سبحانه وتعالى عباده منها.

### 2.3.3 جعل هذا العمران مسكناً آمناً لأهله

أوضحت آيات القرآن الكريم أن هذا العمران منه ما يكون مسكناً آمناً للناس، يقيههم برد الشتاء، وحر الصيف، وهذا امتنان من الله سبحانه وتعالى على الناس كافة بهذه النعمة العظيمة، يقول سبحانه وتعالى في هذا المعنى: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَابِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثْنَا وَمِئْتًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٨٠﴾﴾ (النحل، 80).

بيّنت الآية الكريمة هذا الامتنان من الله سبحانه وتعالى على عباده بأن خلق لهم في هذه الأرض الخشب والمدر والآلة التي يستعملونها في بناء البيوت كي يبنوا لهم مساكن تسترهم وتستر عوراتهم، فهذه المساكن التي خلقها الله سبحانه وتعالى فيها من الفضل العظيم على الناس ما فيها، كما أنها نعمة عظيمة من الله سبحانه وتعالى على عباده الذين يأوون إلى هذه المساكن<sup>(1)</sup>.

كما بيّن سبحانه وتعالى أن هذه المساكن التي يأوي إليها الناس، وترتاح فيها جوارحهم، وتسكن فيها أجسامهم عن الحركة لا تقتصر فحسب على البيوت المصنوعة من المدر، وإنما هي تشمل أيضاً الخيام والقباب والأخبية التي هي بيوت أهل الصحراء، وبيّن أن في هذه الأخيرة نعمة أخرى تتميز بها عن البيوت المصنوعة من المدر، وذلك أن القباب والأخبية والخيام وغيرها مما يُصنع من الجلود والأشعار والأصواف يسهل على الراحلين والمنتقلين حملها في ترحالهم وتنقلهم من مكان إلى مكان طلباً للكأ والماء ونحوها، فظهرت أيضاً نعمة أخرى من النعم التي أنعمها سبحانه وتعالى على الناس<sup>(2)</sup>.

وبيوت الناس عامة تنقسم إلى قسمين: الأول: ما كان متخذاً من الحجارة والطين ونحوها، وهي بيوت المدر، والثاني: ما كان متخذاً من الصوف أو الشعر أو الجلد،

<sup>1</sup>. الواحدي. الوسيط في تفسير القرآن المجيد، ج: 3، ص: 76.

<sup>2</sup>. القرطبي. الجامع لأحكام القرآن، ج: 10، ص: 153.

وهي الخيام والأقبية والفساطيط والأخبية ونحوها، فإن هذه جميعاً يطلق عليها بيت، وتدخل ضمن إطار النعمة الربانية التي امتن بها على عباده في هذه الآية الكريمة، ولقد زادت البيوت المصنوعة من الأدم والشعر والصوف على بيوت المدر بخفتها في حال الانتقال من مكان أو مكان آخر، فهذه نعمة امتن بها سبحانه وتعالى على سائر البشر بأن كانت هذه البيوت خفيفة في الترحال، كما أنها خفيفة في حال الاستقرار<sup>(1)</sup>.

بيّنت الآية القرآنية الكريمة واحداً من أنماط العمران في هذه الأرض، ألا وهو البيوت والمساكن التي يأوي لها الناس، فإن هذه الأنماط العمرانية تختلف عن سواها من الأنماط العمرانية الأخرى بأنها تمثل عنصراً آمناً، ومسكناً ساتراً للناس في حياتهم اليومية، يأوون إليها، ويسكنون فيها، وتسكن حركتهم، ومن هنا فهي تمتاز عن مظاهر العمران الأخرى بأنها متاحة لأكثر البشر، كما أنها موضع عناية البشر جميعاً لا بد لهم منها كي تستقيم حياتهم، وتستقر أمورهم في هذه الدنيا.

وأوضح سبحانه وتعالى في غير موضع من كتابه العزيز أن هذه المساكن تبقى بعد ساكنيها دلالة على من سكنها، وإشارة إلى بطش الله سبحانه وتعالى ببعض الأقسام الظالمين، ومن ذلك قوله سبحانه وتعالى: ﴿ أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسْجِدِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَى ﴾ (طه، 128)، كما يقول سبحانه وتعالى في موضع آخر: ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرِيْبَةٍ بَطَرَتْ مَعِيشَتَهَا فَنِلَك مَسْجِدَهُمْ لَمْ تَسْكَنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيْلًا وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِيْنَ ﴾ (القصص، 58)، وقوله سبحانه وتعالى أيضاً: ﴿ أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسْجِدِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي السُّجُوْدِ ﴾ (السجدة، 26).

إن هذه الآيات الكريمة وغيرها في كتاب الله سبحانه وتعالى تذكر الناس بنعمة هذه المساكن التي أنعمها سبحانه وتعالى عليهم، ووقاهم بها من حر الصيف، وبرد الشتاء، وسترهم فيها، واستراحت فيها أجسامهم، وخفّيت عن أنظار الناس عوراتهم، كل هذا ما كان ليكون لولا أن خلق الله سبحانه وتعالى هذه المساكن للناس، ولو شاء سبحانه

<sup>1</sup> الخازن. لباب التأويل، ج: 3، ص: 92.

وتعالى لما خلقها، فأذن لكان الناس في ضيق شديد، وتعب عظيم، كل هذا بسبب عدم وجود تلك المساكن التي أنعم بها سبحانه وتعالى على الناس أجمعين.

وفي نهاية هذا المبحث يشير الباحث إلى ما يلي:

أولاً: إن هذا العمران الذي يتناول به الناس في هذه الحياة الدنيا لا قيمة له إذا لم يكن أهله على دين الحق، وإذا لم يتصفوا بالصفات الإيمانية الخالصة التي تمنحهم صفة العبودية لله تعالى شكراً له على ما أنعم عليهم من خير عميم بهذه المساكن وهذا العمران.

ثانياً: من العمران ما يكون ضرورياً لا غنى للناس عنه كالبيوت والخيام والقباب والأخبية وغيرها، وهي التي يسكنها الناس جميعاً، ويجعلونها مأوى لهم وستراً، ومنها ما يستغني عنه الناس، كالصروح، والمباني الضخمة، فهذه قد يستغني عنها الناس، ولا يحتاجها الناس كلهم، بل يحتاجون إليها في أوقات معينة، وأحياناً مخصصة.

ثالثاً: إن هذه المساكن والبيوت التي خلقها الله سبحانه وتعالى فيها من النعمة العظيمة على عباده ما فيها، وذلك أنها تقيهم الحر والقر، وتستر عوراتهم، وتستريح فيها أجسامهم، ويتخذون منها موضعاً لأثاثهم.

## الخاتمة:

وبعد أن أتمّ الباحث بحمد الله تعالى حديثه عن العمران في القرآن الكريم فإنه يورد النتائج الآتية:

أولاً: يقوم البناء السياسي في الإسلام على عدة دعائم، من أبرزها ما يلي:  
أ . الإعداد المادي للدولة الإسلامية من بناء، وإعمار، وإعداد للأفراد والجيوش لكي تؤدي وظيفتها بالصورة الصحيحة.

ب . طاعة أولي الأمر الواجبة على الرعية الإسلامية، وذلك كي يتمكن الحاكم المسلم من أداء وظيفته بالشكل التام في بناء السياسة الإسلامية.

ج . وكما أن الحاكم المسلم له الحق في الطاعة، فإن عليه واجب الشورى، وهي الدعامة الثالثة للعمران السياسي في الإسلام؛ لأن مبدأ الشورى يكفل للدولة المسلمة أن تصل إلى القرار الأصوب من بين مجموعة القرارات التي قد تواجهها.

د . وأخيراً فإن البناء السياسي الإسلامي لا يقتصر على الدولة المسلمة فحسب، بل لا بد من دعامة أخرى تتمثل بالعهود والمواثيق التي يعقدها النظام السياسي المسلم مع سواه من الكيانات السياسية الأخرى من أجل ضمان ديمومة الاستقرار السياسي في هذا النظام المسلم.

ثانياً: لقد استطاع العمران السياسي الإسلامي إدخال جميع أطراف المجتمع المسلم في إنجاز هذا البناء، بدءاً من الفرد، مروراً بالجماعة، وانتهاءً بالمجتمع المسلم ككل، إذ أعطى كل طرف من هذه الأطراف دورها الصحيح في إنجاز هذا البناء السياسي الإسلامي.

ثالثاً: لقد حاول الإسلام إلغاء الطبقات ما أمكن ذلك عن طريق فرض الزكاة على الأغنياء، وإعطائها للفقراء، وعن طريق تحريم الربا كي لا يزداد الغني غنى، والفقير فقراً.

رابعاً: كما حاول الإسلام توزيع الثروات توزيعاً عادلاً كي لا تبقى في يد طبقة متنفذة في المجتمع الإسلامي، وذلك أيضاً من خلال الزكاة والصدقة وتحريم الربا.

خامساً: لم يدع الإسلام أمر الصدقات والزكاة دون تحديد أو تقييد، وإنما حدد سبحانه وتعالى مصارف هذه الزكاة كي تصل إلى مستحقيها، وكي تحول دون خراب العمران الاقتصادي.

سادساً: بينت نصوص القرآن الكريم من خلال سورة يوسف . عليه السلام أن العمران الاقتصادي ليس قائماً على التشريع فحسب، وإنما هو معتمد أيضاً على الأيدي البشرية المدربة تدريباً سليماً قوياً، حتى تستطيع هذه الأيدي البشرية القيام بالوظيفة الإدارية لهذا المال على الوجه الصحيح القويم.

سابعاً: لا يقتصر دور التشريع الإسلامي على العمران الاقتصادي فحسب؛ بل إنه وضع القواعد والسبل التي تحقق ديمومة هذا العمران، وتحقق له الحماية الكافية كي يؤدي وظيفته للبشر مدى الدهر.

ثامناً: ركز الإسلام على الأسرة، وهي الركيزة الأساسية والرئيسية في البناء الاجتماعي في الإسلام، لما لها من دور كبير في تطوير المجتمع، وإخراج أبناء صالحين من شأنهم رفق هذا العمران الاجتماعي، ومن شأنهم تحمل المسؤوليات الاجتماعية المختلفة.

تاسعاً: وانطلاقاً من أهمية هذه الأسرة، ومكانتها في العمران الاجتماعي في الإسلام، فقد جاءت النصوص القرآنية تحث على ترابط هذه الأسرة، وتمنع كافة أشكال التفكك التي قد تؤدي بها إلى الانحلال، ومن ثم يكون أثرها سلبياً في المجتمع، فأوجب سبحانه وتعالى بر الوالدين، وحرمة عقوقهما؛ لأن في ذلك حماية لهذه الأسرة من التفكك المدمر للمجتمع.

عاشراً: دعا الإسلام كافة أفراد المجتمع الإسلامي بالتحلي بالأخلاق الحسنة التي من شأنها أن تدفع المسلم إلى حسن المعاملة مع الآخرين في المجتمع الإسلامي الكبير، ومن ثم فإن هذه المعاملة الحسنة تسهم بشكل مباشر في توطيد العلاقات الاجتماعية، وجعل المجتمع أكثر تماسكاً وترابطاً.

حادي عشر: ومن ناحية أخرى فإن الإسلام قد ارتكز في بنائه الاجتماعي على نبذ العنف، وإنهاء كافة السبل التي قد تؤدي إليه، سواء أكان هذا العنف قتلاً أم غير ذلك، لأنه لو شاع العنف في المجتمع الإسلامي لكان العمران الاجتماعي

متزعزعاً مضطرباً، ومن هنا فقد ركز التشريع الإسلامي على التخلص من كافة أسباب هذا العنف ومظاهره.

ثاني عشر: يركز العمران الأخلاقي في الإسلام وفق نصوص القرآن الكريم على ركيزتين أساسيتين هما: الأولى: الأمر بالأخلاق الحميدة الحسنة، كالصدق، والأمانة، واللين، والثانية: النهي عن الأخلاق الذميمة، مثل: الكذب، والسرقة، والغش.

ثالث عشر: لا يقتصر الأثر الإصلاحي للعمران الأخلاقي على الفرد وحده، أو على جانب الأخلاق فحسب، بل يتعداه إلى الجماعة المسلمة، وإلى الجوانب الأخرى كالجوانب الاجتماعية، والثقافية، والعسكرية؛ لأن الأمة إذا صلحت أخلاقها صلحت كثير من أمورها.

رابع عشر: إن أهمية العمران القضائي في الإسلام لا تقل أهمية عن سواه من أشكال العمران الأخرى، لما له من آثار إيجابية على سير الحياة بين البشر.

خامس عشر: يقوم العمران القضائي في الإسلام على عدد من الدعائم والأسس، أولها: وجوب العدل في الحكم بين الناس، وثانيها: إزالة كافة أشكال الظلم، وثالثها: إقامة العقوبة على الظالم.

سادس عشر: لقد توعّد الله سبحانه وتعالى الظالم بالعقوبة الوخيمة في الدنيا والآخرة، حتى إن الظالم سيقع في أشد الندامة، وأعظم الحسرة لما كان منه من الظلم في حياته الدنيا، مما قد يدفعه إلى عض يديه حسرة وندامة.

سابع عشر: يذكر سبحانه وتعالى بعض الملامح العمرانية المادية لغايات معنوية ولأهداف معينة من خلال النص القرآني، كالمساجد لغاية العبادة، وصرح فرعون لغاية تحدي موسى، والكعبة المشرفة لغاية اجتماع البشر فيها، وللصلاة والعبادة والطواف والاعتكاف.

ثامن عشر: إن أكثر المواضع القرآنية التي اشتملت على حديث عن بعض ملامح العمران المادي كانت ضمن إطار قصة قرآنية، فهذا المسجد الحرام ضمن قصة بنائه لسيدنا إبراهيم وإسماعيل، وهذه المساجد ضمن قصة مسجد ضرار وموقف المنافقين، وهذا صرح فرعون ضمن قصة موسى . عليه السلام . وهذا جدار



الغلامين ضمن قصة الخضر عليه السلام، وهذا صرح سليمان وعرش بلقيس  
ضمن قصة سليمان مع أهل سبأ.

تاسع عشر: تتمثل أسس العمران العسكري في الإسلام بما يلي:

1 . إعداد القوة البدنية للجنود، سواء في أجسامهم وأبدانهم، أم في قوتهم وأدواتهم  
ومباني الحرب التي يحتاجونها.

2 . الإعداد النفسي للجنود؛ لأن الجندي إذا كان مرتاحاً نفسياً استطاع أن يؤدي ما  
عليه بكفاءة واقتدار.

3 . الصبر والثبات في المعركة؛ لأن الصبر يدعو المقاتل إلى زيادة ساعات  
القتال، وتحمل ما به من جراح وخوف، كما أن الصبر يؤدي إلى الثبات، مما  
يزيد من فعالية الجندي في ساحة القتال، ويؤدي في النهاية إلى النصر بإذن  
الله تعالى.

4 . التلاحم والتماسك بين أفراد الجماعة المقاتلة؛ لأن في هذا التلاحم والتماسك  
سبباً مهماً في قوة هذا الجيش، وسعي جميع أفرادها إلى تحقيق النصر الذي  
يسعون إليه.

5 . ذكر الله تعالى عند لقاء العدو؛ لأن ذكر الله تعالى يقوي القلوب، ويدفعها إلى  
المضي قدماً في قتال الأعداء، ويجعل أمر القتال هيناً في صدور الذين آمنوا.  
العشرون: إن هذا العمران الذي يتناول به الناس في هذه الحياة الدنيا لا قيمة له إذا  
لم يكن أهله على دين الحق، وإذا لم يتصفوا بالصفات الإيمانية الخالصة التي  
تمنحهم صفة العبودية لله تعالى شكراً له على ما أنعم عليهم من خير عميم  
بهذه المساكن وهذا العمران.

الحادي والعشرون: من العمران ما يكون ضرورياً لا غنى للناس عنه كالبيوت والخيام  
والقباب والأخبية وغيرها، وهي التي يسكنها الناس جميعاً، ويجعلونها مأوى لهم  
وستراً، ومنها ما يستغني عنه الناس، كالصروح، والمباني الضخمة، فهذه قد  
يستغني عنها الناس، ولا يحتاجها الناس كلهم، بل يحتاجون إليها في أوقات  
معينة، وأحياناً مخصصة.

الثاني والعشرون: إن هذه المساكن والبيوت التي خلقها الله سبحانه وتعالى فيها من النعمة العظيمة على عباده ما فيها، وذلك أنها تقيهم الحر والقر، وتستريح عوراتهم، وتستريح فيها أجسامهم، ويتخذون منها موضعاً لأثاثهم.

## قائمة المصادر والمراجع

- الأحمد نكري، القاضي عبد النبي بن عبد الرسول (د.ت). **دستور العلماء، جامع العلوم في اصطلاحات الفنون**، عرب عباراته الفارسية: حسن هاني فحص، دار الكتب العلمية، بيروت . لبنان، الطبعة الأولى.
- الألوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله (1415هـ). **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت . لبنان، الطبعة الأولى.
- أمين، أحمد (1931م). **كتاب الأخلاق**، دار الكتب المصرية، القاهرة . مصر، الطبعة الثالثة.
- الأنجري، أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي الفاسي الصوفي (1419هـ). **البحر المديد في تفسير القرآن المجيد**، تحقيق: أحمد عبد الله القرشي رسلان، الناشر الدكتور حسن عباس زكي، القاهرة . مصر، الطبعة الأولى.
- الإيجي، محمد بن عبد الرحمن بن محمد (2004م). **جامع البيان في تفسير القرآن**، دار الكتب العلمية، بيروت . لبنان، الطبعة الأولى.
- ابن باز، عبد العزيز بن عبد الله (2002م). **الدعوة إلى الله وأخلاق الدعاة**، رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء، الرياض . السعودية، الطبعة الرابعة.
- البقاعي، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط (د.ت). **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة . مصر، الطبعة الأولى.
- البيضاوي، أبو سعيد ناصر الدين عبد الله بن عمر بن محمد (1418هـ). **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت . لبنان، الطبعة الأولى.
- الثعالبي، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف (1418هـ). **الجواهر الحسان في تفسير القرآن**، تحقيق: محمد علي معوض، وعادل أحمد عبد الموجود، دار إحياء التراث العربي، بيروت . لبنان، الطبعة الأولى.

الثعلبي، أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم (2002م). **الكشف والبيان عن تفسير القرآن**، تحقيق: الإمام أبو محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: نظير الساعدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت. لبنان، الطبعة الأولى.

الجرجاني، علي بن محمد بن علي الشريف (1983م). **كتاب التعريفات**، تحقيق: مجموعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية، بيروت. لبنان، الطبعة الأولى.

ابن جزي، أبو القاسم محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله (1416هـ). **التسهيل لعلوم التنزيل**، تحقيق: عبد الله الخالدي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت. لبنان، الطبعة الأولى.

الجوابي، محمد طاهر (2000م). **المجتمع والأسرة في الإسلام**، دار عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت. لبنان، الطبعة الثالثة.

الجوزي، أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد (1422هـ). **زاد المسير في علم التفسير**، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، بيروت. لبنان، الطبعة الأولى.

حبنكة، عبد الرحمن بن حسن (1991م). **كواشف زيوف**، دار القلم، دمشق. سوريا، الطبعة الثانية.

حبنكة، عبد الرحمن بن حسن (1998م). **الحضارة الإسلامية أسسها ووسائلها** **وصور من تطبيقات المسلمين لها ولمحات من تأثيرها في سائر الأمم**، دار القلم، دمشق. سوريا، الطبعة الأولى.

أبو حيان، محمد بن يوسف بن علي بن يوسف (1420هـ). **البحر المحيط**، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت. لبنان، الطبعة الأولى.

الخازن، علاء الدين أبو الحسن علي بن محمد بن إبراهيم (1415هـ). **لباب التأويل في معاني التنزيل**، تحقيق: محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت. لبنان، الطبعة الأولى.

ابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسن (1987م). **جمهرة اللغة**، تحقيق: رمزي منير البعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت. لبنان، الطبعة الأولى.

الدميري، أبو البقاء محمد بن موسى بن عيسى (2004م). **النجم الوهاج في شرح المنهاج**، تحقيق: لجنة عالمية، دار المنهاج، جدة - السعودية، الطبعة الأولى.

الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن حسن بن حسين (1420هـ). **مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير**، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، الطبعة الثالثة.

الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد (2001م). **تفسير الراغب الأصفهاني**، تحقيق ودراسة: هند بنت محمد بن زاهد سردار، كلية الدعوة وأصول الدين، جامعة أم القرى، مكة المكرمة - السعودية، الطبعة الأولى.

رضا، محمد رشيد بن علي (1990م). **تفسير المنار**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة - مصر، الطبعة الأولى.

رشيد رضا، محمد رشيد بن علي رضا القلموني (2005م). **الوحي المحمدي**، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى.

رفاعي، عاطف إبراهيم المتولي (2011م). **صور الإعلام الإسلامي في القرآن الكريم - دراسة في التفسير الموضوعي**، رسالة ماجستير، كلية العلوم الإسلامية، قسم التفسير وعلوم القرآن، إشراف: حاتم محمد منصور مزروعى، جامعة المدينة العالمية، ماليزيا.

الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو جار الله (1407هـ). **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان، الطبعة الثالثة.

ابن سعد، أبو عبد الله محمد (1990م). **الطبقات الكبرى**، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى.

السالموطي، نبيل (1998م). **بناء المجتمع الإسلامي**، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان - الأردن، الطبعة الثالثة.

السمعاني، أبو المظفر منصور بن محمد المرزوي (1997م). **تفسير القرآن**، تحقيق: ياسر بن إبراهيم، وغنيم عباس غنيم، دار الوطن، الرياض - السعودية، الطبعة الأولى.

ابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل المرسي (2000م). **المحكم والمحيط الأعظم**، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى.

السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين (2004م). **معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم**، تحقيق: محمد إبراهيم عبادة، مكتبة الآداب، القاهرة . مصر، الطبعة الأولى.

الشاربي، سيد قطب إبراهيم (1412هـ). **في ظلال القرآن**، دار الشروق، بيروت . لبنان، والقاهرة . مصر، الطبعة السابعة عشرة.

الشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله (1414هـ). **فتح القدير**، دار ابن كثير، ودار الكلم الطيب، دمشق . سوريا، وبيروت . لبنان، الطبعة الأولى. صقر، شحاتة محمد (د.ت). **شريعة الله لا شريعة البشر**، دار الخلفاء الراشدين، ودار الفتح الإسلامي، الإسكندرية . مصر، الطبعة الأولى.

ابن عادل الحنبلي، سراج الدين أبو حفص عمر بن علي (1998م). **الباب في علوم الكتاب**، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت . لبنان، الطبعة الأولى.

ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر (1984م). **التحرير والتنوير: تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد**، الدار التونسية للطباعة والنشر، تونس.

ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب الأندلسي (1422هـ). **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت . لبنان، الطبعة الأولى.

عودة، عبد القادر (1985م). **الإسلام بين جهل أبنائه وعجز علمائه**، الاتحاد الإسلامي للمنظمات الطلابية، الطبعة الخامسة.

ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا الرازي (1979م). **معجم مقاييس اللغة**، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، بيروت . لبنان، الطبعة الأولى.

الفاروقي، محمد بن علي (1996م). **كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم**، تقديم وإشراف ومراجعة: رفيق العجم، تحقيق: علي دحروج، ترجمة النص الفارسي:

عبد الله الخالدي، الترجمة الأجنبية: جورج زيناني، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت  
لبنان، الطبعة الأولى.

القحطاني، سعيد بن علي بن وهف (2010م). **الزكاة في الإسلام في ضوء الكتاب  
والسنة: مفهوم ومنزلة وحكم وفوائد وأحكام وشروط ومسائل**، مركز الدعوة  
والإرشاد، القصب . السعودية، الطبعة الأولى.

القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر (1964م). **الجامع لأحكام القرآن**،  
تحقيق: أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة . مصر،  
الطبعة الثانية.

القشيري، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك (د.ت). **لطائف الإشارات**، تحقيق:  
إبراهيم البسيوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة . مصر، الطبعة  
الثالثة.

القنوجي، أبو الطيب محمد صديق خان بن الحسن بن علي (1992م). **فتح البيان في  
مقاصد القرآن**، عني بطبعه وقدم له وراجعته: عبد الله بن إبراهيم الأنصاري،  
المكتبة العصرية، صيدا . بيروت . لبنان، الطبعة الأولى.

القونوي، قاسم بن عبد الله بن أمير علي (2004م). **أنيس الفقهاء في تعريفات  
الألفاظ المتداولة بين الفقهاء**، تحقيق: يحيى حسن مراد، دار الكتب العلمية،  
بيروت . لبنان، الطبعة الأولى.

الكرماني، أبو القاسم محمود بن حمزة بن نصر (د.ت). **غرائب التفسير وعجائب  
التأويل**، دار القبلة للثقافة الإسلامية، جدة . السعودية، ومؤسسة علوم القرآن،  
بيروت . لبنان، الطبعة الأولى.

الكنوي، أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني (د.ت). **الكليات معجم في المصطلحات  
والفروق اللغوية**، تحقيق: عدنان درويش، ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة،  
بيروت . لبنان، الطبعة الأولى.

محجوب، عباس (1400هـ). **بيئات التربية الإسلامية**، مجلة الجامعة الإسلامية،  
السنة الثانية عشرة، العدد السادس والأربعون، المدينة المنورة . السعودية.

المطرودي، عبد الرحمن (د.ت). **نظرة في مفهوم الإرهاب والموقف منه في الإسلام**، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، الرياض . السعودية.

المطعني، عبد العظيم إبراهيم محمد (1993م). **سماحة الإسلام في الدعوة إلى الله والعلاقات الإنسانية منهاجاً وسيرة**، مكتبة وهبة، الطبعة الأولى.

المناوي، عبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين (1990م). **التوقيف على مهمات التعاريف**، دار عالم الكتب، عبد الخالق ثروت، القاهرة . مصر، الطبعة الأولى.

ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن علي الإفريقي (1414هـ). **لسان العرب**، دار صادر، بيروت . لبنان، الطبعة الثالثة.

ابن نبي، مالك بن الحاج عمر بن الخضر (1431هـ). **وجهة العالم الإسلامي**، دار الفكر، دمشق . سوريا، وبيروت . لبنان، الطبعة الثانية.

ابن نبي، مالك بن الحاج عمر بن الخضر (2000م). **مشكلة الثقافة**، تحقيق: ندوة مالك بن نبي، دار الفكر، دمشق . سوريا، الطبعة الخامسة.

ابن نبي، مالك بن الحاج عمر بن الخضر (1986م). **ميلاد مجتمع**، ترجمة: عبد الصبور شاهين، دار الفكر، الجزائر، ودمشق . سوريا، الطبعة الثالثة.

ابن نبي، مالك بن الحاج عمر بن الخضر (1979م). **تأملات**، تحقيق: ندوة مالك بن نبي، دار الفكر، دمشق . سوريا، الطبعة الأولى.

النسفي، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود (1998م). **مدارك التنزيل وحقائق التأويل**، حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي، راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو، دار الكلم الطيب، بيروت . لبنان، الطبعة الأولى.

النمري، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر (1992م). **الاستيعاب في معرفة الأصحاب**، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت . لبنان، الطبعة الأولى.

النيسابوري، أبو القاسم محمود بن أبي الحسن بن الحسين (1415هـ). **إيجاز البيان عن معاني القرآن**، تحقيق: حنيف بن حسن القاسمي، دار الغرب الإسلامي، بيروت . لبنان، الطبعة الأولى.



النيسابوري، نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين (1416هـ). غرائب القرآن ورغائب الفرقان، تحقيق: الشيخ زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، بيروت . لبنان، الطبعة الأولى.

الواحدى، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد (1994م). الوسيط في تفسير القرآن المجيد، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض، وأحمد محمد صيرا، وأحمد عبد الغنى الجمل، وعبد الرحمن عويس، قدمه وقرضه: عبد الحى الفرماوي، دار الكتب العلمية، بيروت . لبنان، الطبعة الأولى.

الواحدى، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد (1411هـ). أسباب نزول القرآن، تحقيق: كمال بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت . لبنان، الطبعة الأولى.

الوادعى، مقبل بن هادي بن مقبل (1987م). الصحيح المسند من أسباب النزول، مكتبة ابن تيمية، القاهرة . مصر، الطبعة الرابعة.

اليعمرى، إبراهيم بن علي بن محمد بن فرحون (1986م). تبصرة الحكام في أصول الأفضية ومناهج الأحكام، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة . مصر، الطبعة الأولى.

اليوسف، عبد الرحمن بن عبد الخالق (1978م). أضواء على أوضاعنا السياسية، دار القلم، الكويت، الطبعة الأولى.

## المعلومات الشخصية

الاسم: محمد ماهر العوفي.

الكلية: الشريعة.

التخصص: أصول الدين.

العنوان: المملكة العربية السعودية.